# صلاح الدين الأيوبي

# (١١٣٨-١١٩٣م)

## (الإعاقة- الكاريزما- الإنجاز- المرض )

إعداد

**ا.د/ محمد مؤنس عوض**

أستاذ تاريخ العصور الوسطي

جامعتي عين شمس والشارقة

ط. القاهرة ٢٠١٣

(١١١٣- ٢٠١٣م)

يصدر هذا الكتاب بمناسبة مرور (٩٠٠) عام علي معركة الأقحوانة عام (١١١٣م) و استشهاد أتابك الموصل/ شرف الدين مودود الذي مهد الطريق لصلاح الدين الأيوبي و المسلمين لانتصار حطين الحاسم عام ١١٨٧م.

"رأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة و القلوب محبة قريباً بعيداً، سهلاً محبباً، وأصحابه يتشبهون به يتسابقون إلي المعروف".

"وجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونه علي الأنبياء و ما رأيت ملكاً حزن الناس بموته سواه لأنه كان محبوباً يحبه البر و الفاجر و المسلم و الكافر".

وصف موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت١٢٣١م) لصلاح الدين الأيوبي (ت ١١٩٣م)

عوض ، محمد مؤنس
صلاح الدين الايوبي ( ١١٣٨-١١٩٣م)
(الاعاقة-الكاريزما-الانجاز-المرض)
ط ١ ، القاهرة : دار الآفاق العربية ٢٠١٤
189ص ، ٢٤ سم

١ - القادة العسكريون
٢ - صلاح الدين الايوبي ، يوسف بن ايوب شادى
أ . العنوان ٩٢٣,٥٥

تدمك : 978-977-344-240-8
رقم الإيداع :٢١١٩٥ /٢٠١٣
الطبعة الأولى
١٤٣٥/٢٠١٤ م

جميع الحقوق محفوظة
لدار الآفاق العربية

نشر – توزيع – طباعة
٥٥ شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : ٢٢٦١٧٣٣٩ -00202 تليفاكس : ٢٢٦١٠١٦٤ -00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com

# محتويات المؤلف


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| الإهـداء. | ٧ |
| المقدمة. | ٩ |
| (١) معاقون من عصر الحروب الصليبية في القرن ١٢م صلاح الدين الأيوبي نموذجاً | ١١-٣٢ |
| (٢) صلاح الدين الأيوبي ١١٧١-١١٩٣م قائداً كاريزمياً من عصر الحروب الصليبية. | ٣٣-٦٠ |
| (٣) ناقد وصلاح الدين (١١٧١-١١٩٣م) اتهامات وردود. | ٦١-٨٦ |
| (٤) معركتا مريو كيفالولون وتل الجزر هزيمتان بيزنطية وأيوبية – دراسة مقارنة. | ٨٧-١١٢ |
| (٥) العدوان الصليبي على الحجاز في العصرين الأيوبي – أضواء جديدة على حملة ١١٨٢-١١٨٣م. | ١١٣-١٦١ |
| (٦) التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي (١١٨٥- ١١٩٣م ) | ١٦٣-١٨٩ |

# الإهـــداء

**إلي أرواح ثلاثة من مؤرخي مصر الرواد**

**في مجال التاريخ الحديث**

**والمعاصر من جامعة عين شمس و هم:**

**ا.د/ زينب عصمت راشد (ت ١٩م)**

**ا.د/ عبد الحميد البطريق (ت٢٠٠٠م)**

**ا.د/ عبد العزيز نوار (ت٢٠٠١م)**

**تغمدهم الله بواسع رحمته .**

## مقدمة الكتاب

يتناول هذا الكتاب بالدراسة عدة بحوث عن صلاح الدين الأيوبي من خلال عدة جوانب في صورة الإعاقة، والكاريزما، والإنجازات التي قام بها المسلمون تحت قيادته، والجدل الذي أثير حول بعض أعماله، وكذلك رؤيته للحياة من خلال وصيته لابنه الظاهر غازي صاحب حلب، ثم يتم تناول ما أصابه من هزيمة في موقعة الرملة مع المقارنة معها و بين معركة مرياكيفالون التيُ مني فيها الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين بالهزيمة، وقد وقعتا عام١١٧٦م، ثم مرض صلاح الدين الذي أدي إلي وفاته في فجر يوم الأربعاء ٤ مارس ١١٩٣م كنت من قبل قد أصدرت عدة مؤلفات عن السلطان الأيوبي البارز في صورة الاتي :

١ -صلاح الدين بين التاريخ و الأسطورة .
٢ -رحلة إلي صلاح الدين الأيوبي .
٣ -صلاح الدين الأيوبي فارس عصر الحروب الصليبية .
٤ -قالوا عن صلاح الدين .

وقد يتساءل البعض، هل هناك جديد يمكن أن يقال عن صلاح الدين الأيوبي الذي رحل عن عالمنا في فجر يوم الأربعاء ٤مارس ١١٩٣م ؟

والواقع أن التاريخ – عموماً – لم يقل بعد كلمته الأخيرة، ومطالعة المصادر التاريخية المعاصرة حينذاك و الإفادة من مناهج البحث في علوم إنسانية أخرى مثل علم الاجتماع و علم النفس كل ذلك من شأنه تسليط أضواء جديدة علي الرجل و عصره و إنجازات المسلمين تحت قيادته إن كتابيهذا يعد

الخامس الذي أقدمه – وفق الجهد المتواضع – للمكتبة العربية، ولا عجيب في ذلك إذ أن صلاح الدين الأيوبي يستحق بجدارة تخصيص عدة دراسات عنه و عن جهاد المسلمين تحت قيادته في عصر الصراع بين عالمي الإسلام و المسيحيين في العصور الوسطي .

والواقع – ومن خلال تجربة شخصية – كلما انتهبت كتاباً عن فارس الإسلام النبيل عصر الحروب الصليبية، وجدت أن هناك مادة تاريخية ثرية عنه، ولهذا شرعت في كتاب آخر و هكذا!!.

والأمل معقود في باحثين آخرين كي يواصلون التنقيب في شخصية و عصر ذلك القائد التاريخي، ويتناولوا جوانب أخرى لم أتمكن من التوصل إليها .

تجدر الإشارة، إلي أنه قد واجهتني مشكلة بحثية في أعداد كتابي هذا، تمثلت في تجنب تكرار ما قد أوردته من قبل في الكتب الأربعة السابقة، من خلال موضوعات أتصور أنها جديدة ،فلعلي تمكنت من تحقيق هذا الهدف المنشود، والحكم دوماً للقارئ الموضوعي ختاماً أردد قول الحق تبارك و تعالي .

" وفوق كل ذي علم عليم "

**ا.د/ محمد مؤنس عوض**

**أسيوط ٢٠١٣م**

**Email Mawad@Sharjah,ac.ae**

# معاقون من عصر الحروب الصليبية في القرن ١٢م
# صلاح الدين الأيوبي نموذجاً

# معاقون من عصر الحروب الصليبية في القرن ١٢م
# صلاح الدين الأيوبي نموذجاً

يتناول هذا البحث بالدراسة أمر المعاقين [١] في عصر الحروب الصليبية علي نحو خاص خلال القرن ١٢م ويتعرض لصلاح الدين الأيوبي كنموذج لهم في ذلك العصر الذي يمثل مرحلة فارقة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي .

وتواجه الباحث في الموضوع المذكور بعض المصاعب المتمثلة في ندرة الإشارات المصدرية، إذ أن المؤرخين المسلمين والصليبيين علي حد سواء صوروا لنا ذلك العصر وأفراده علي أنهم أصماء وندر أن قدموا اشارات شافية وافية عن عناصر، علي الرغم من ان المعارك الطاحنة بين الطرفين المتصارعين علي مدى القرن ١٢م، ادت بالضرورة إلي ظهور عشرات الآلاف من الجرحى والمعاقين كنتيجة لتلك الأحداث الصاخبة .

من ناحية أخري شغل المؤرخون المسلمون الرسميون علي نحو خاص بتناول صلاح الدين .

الأحداث السياسية والعسكرية المتصلة به وأغفلوا أمر الاعاقةالتي حدثت له، ولذا فليس أمامنا إلا التعامل مع بيت من الشعر أورده أحد الشعراء المعاصرين، عدم اغفال الشواهد التاريخية الأخرى بطبيعة الحال .

بصفة عامة تتمثل أهمية البحث المذكور في انه من المجتمعين الإسلامي والصليبي يسلط الضوء علي شريحة اغفلتهم -في الغالب- مؤلفات المؤرخين المعاصرين، وندرت الاشارة عنهم ولذلك يوصفوا بانهم من المهمشين علي الرغم من أنهم شاركوا في صنع الأحداث شأنهم فيذلك شأن غيرهم من عناصر النبع حينذاك وقد، عزف المؤرخون المحدثون عن تناول مثل هذا الموضوع نظراً لطبيعته المصدرية

السالفة الذكر، ولذلك ليس لدينا – وفق ما اعلم – دراسة حديثة عنه من شأنها أن تلقي الضوء الكاشفة علي بعض جوانبه .

تجدر الإشارة إلي أهمية الرجوع إلي مؤلفات في مجال علم الاجتماع وكذلك علم النفس الخاص بالمعاقين من أجل الاقتراب – قدر الاستطاعة – من نفسية تلك الشريحة من المجتمع الإسلامي والصليبي حينذاك، خاصة أن ذلك من شأنه التوصل إلي ما يعرف " بالعقدة المبدعة " لدي أعلام ذلك العصر وعلي نحو خاص لدى قائد الجهاد الإسلامي في صلاح الدين الأيوبي ( ١١٣٨– ١١٨٣ م )علي نحو يؤدي إلي تسليط الأضواء الكاشفة علي احداث ذلك العصر ودوافع ذلك السلطان للتعامل معها .

تجدر الإشارة إلي أن الاعاقة قد تكون حسية أو جسدية أو عقلية وتعني عجز عضو أو أعضاء عن القيام بوظيفته لأسباب وراثية مكتسبة أو فيروسية أو لحوادث معينة أو لأسباب لا تزال مجهولة مثل الطفرة او المصادفة التي لم يستطع الطب بعد إيجاد تفسيراً لها. [٢]

والمعوق مصطلح بطلق علي من تعوقه قدراته الخاصة عن النمو السوي إلا بمساعدة خاصة، وهو لفظياً مشتق من الاعاقة أي التأخير أو التعويق وهو بالإنجليزية Handicapped ؛أي تكبيل اليدين أو Deformity وهي تعني نقص التكوين[٣].

أما أهم المشكلات النفسية التي يعاني منها المعاق فيمكن إجمالها علي النحو التالي :

أولاً : الشعور الزائد بالنقص ويتولد من خلال رفض الذات والإحساس بالدونية مما يعوق تكيفه الاجتماعي السليم مع المحيط الذي يعيش فيه .

ثانياً: الشعور الزائد بالعجز ويتجلى ذلك في الاستسلام للعاهة وتقبلها مع رغبة انسحابيه .

ثالثاً: عدم الاحساس بالأمن ويساور المعاق شعور بالقلق والخوف من المجهول وتوقع الشر علي نحو شبه دائم وقد يكون من أعراض ذلك التوتر وكذلك التقلب الانفعالي وقد يؤدي ذلك إلي الاضطرابات الجسيمة السيكوسومائية .

رابعاً : عدم الاتزان الانفعالي، وهو أمر يعني عدم تناسب الانفعال مع مواقف الحياة وقد يؤدي ذلك إلي توالد مخاوف وهمية [٤] لا أساس لها من الواقع المعاش .

تلك أهم المشكلات التي يعاني منها المعاق من وجهة نظر علماء النفس والاجتماع، وهي جوانب تفيدنا في فهم طبيعة قيادات العصر التاريخي الذي نتناوله بالدراسة وأعني بعصر الحروب الصليبية وما رصده علم النفس التحليل فيما يتصل لسيكولوجيه المعاق ينطبق علي العصور الوسطي بطبيعة الحال بصورة تفيدنا في إعادة قراءة النصوص المصدرية التي وصلت إلينا من تلك المرحلة التاريخية الفارقة بصفة عامة كان هناك كعاقون لدى كل طرف من طرفي الصراع .

ومن أمثلة المعاقين في الجانب الصليبي الملك الصليبي بلدوين الرابع BaldwinIv[٥](١١٧٤- ١١٨٥ م) الذي كان مصاباً بمرض جلدي هو الجزام أو البرص، ولذلك كان محجوباً عن الناس وقد حكم خلال مرحلة علي جانب كبير من الأهمية في تاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية، وإن لم تكن له نفس الكفاءة السياسية والعسكرية للملك عموري الأول [٦] Amaric I (١١٦٣- ١١٧٤م) الذي يعد آخر الملوك الصلبيين الذي يعد آخر الملوك الصليبيين البارزين — من وجهة نظر من خلال رغبته الاستعمارية بالتوجه نحو مصر وكذلك الاسهام القانوني في عهده بصفة عامة تفيد مرحلة حكم بلدوين الرابع في فهم عوامل اضمحلال وسقوط مملكة الصليبيين في بلاد الشام خاصة أنها جاءت قبيل حدوث معركة حطين التي

جرت وقائعها في ٤ يوليو ١١٨٧م بعد عامين فقط من وفاته، مع ملاحظة أنه لا يتحمل منفرداً هذه المسؤولية نظراً لأن عملية الاضمحلال والسقوط في التاريخ عملية تراكمية معقدة علي مدى زمني طويل ويلاحظ أن عهده شهد إلحاق الهزيمة بالقوات الأيوبية بقيادة صلاح الدين فيما عرف بمعركة وادي جزريل أو كسرة الرملة عام١١٧٦م، وهي أول هزيمة كبيرة مُني بها المسلمون تحت قيادته وحدثت بعد (٥) أعوام فقط من إسقاط الدولة الفاطمية في مصر عام ١١٧١م، ويلاحظ أن تاريخ ذلك السلطان يشهد علي هزيمتين الأولي عام ١١٧٦م في الرملة، والثانية في أرسوف عام ١١٩١م خلال مواجهته للجيش الصليبي بقيادة الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted (١١٨٩- ١١٩٩م ) .

تجدر الإشارة إلي أن محدودة معركة الرملة وإذ ولم تؤد إلي تغيير حقيقي في ساحة الجغرافيا السياسية، وقد استفاد منها صلاح الدين الأيوبي في إدراكه أن الهجوم الشامل علي الصليبيين، ينبغي أن يكون من الشمال من قاعدته في دمشق وليس من الجنوب من قاعدته في القاهرة نظراً لبعد المسافة ووجود عائق صحراوي وليس من الجنوب من قاعدته في القاهرة نظراً لبعد المسافة ووجود عائق صحراوي في عمورة شبه جزيرة سيناء من شانه استهلاك الجند الوقت والجهد علي حساب كفاءة جيشه في مواجهة الجيش الصليبي حينذاك .

كما شهد عهد بلدوين الرابع قيام الفارس الصليبي المندفع والمتهور رينو دي شاتيون Renauld de Chatillon ( ت١١٨٧م ) المعروف في المصادر العربية بإرناط بشن حملة علي الحجاز [٨] عام ١١٨٣م أراد من خلالها نقل رفات النبي صلي الله عليه وسلم من المدينة المنورة إلي الكرك لتحويل الحج إلي هناك، وقد فشلت تلك الحملة الغادرة بفضل يقظة الأيوبيين، وخرج صلاح الدين الأيوبي من تلك الأحداث منتصراً سياسياً من خلال ظهوره بمظهر حامي الماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز،

وهكذا قدم إرناط فرصة ذهبية لذلك السلطان كي يحقق مكاسب سياسية غير مسبوقة في كافة أنحاء العالم الإسلامي .

يضاف إلي ذلك وجود قيادة صليبية خارج نطاق بلاد الشام في صورة دوق البندقية هنري داندلو Henry Dandelo [٩] الذي وصف بالدهاء والخبرة السياسية حيث قاد البندقية وهي واحدة من أهم المدن التجارية الإيطالية والتي وقعت ثراءً عريضاً من خلال تجارتها مع الشرق ودعمها للحركة الصليبية في سبيل اخضاع الساحل الشامي الذي كان بمثابة الرئة التي تنفس من خلالها الصليبيون حيث اتصلوا بالوطن الأم في أوروبا للحصول علي الدعم المالي والمادي والبشري والمعنوي .

لقد عاصر ذلك الدوق احراق الحي البندقي في القسطنطينية Constantinopleفيما بعد في عهد الإمبراطور البيزنطي المتغرب مانويل كومنين[١٠] (١١٤٣- ١١٨٠م ) في عهد الإمبراطور الكسيوس الثاني كومنين AlexiusII Comnenus والذي حدث عام ١١٨٢م، وقد عبر عن مدى كراهية البيزنطيين تجاه البنادقة، وقد أوجد شرخاً لا علاج له بين الجانبين وقد ادي هذا الأمر إلي أن أفتقد بصره فصار كفيفاً وملأت الرغبة في الثأر قلبه ضد الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية، وكان من أهم العوامل التي ادت إلي الهجوم علي تلك العاصمة الإمبراطورية المذكورة عام ١٢٠٤م[١١]، وهكذا كان ذلك المعاق عاملاً علي جانب كبير من الخطورة في توجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو ذلك الهدف، ولا يمكن بأي حال من الحوال كتابة تاريخ تلك الحملة الفارقة في تاريخ الحركة الصليبية عموماً دون دور ذلك الدوق البندقي المنتقم مع عدم إغفال كافة المقدمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأخرى التي مهدت لذلك الحدث البارز علي اعتبار أن السند في التاريخ يكن دوماً من الداخل قبل الخارج والمر المؤكد ان هناك العديد من العوامل المشتركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خاصة في

عهد مانويل كومنين ادت إلي سقوط بيزنطي علي نحو دراماتيكي عام ١٢٠٤م، ومع ذلك لا يمكن إغفالا الدور البندقي الفعال الذي أراد إقصاء بيزنطة عن ريادتها الاقتصادية التجارية، وذلك أمر قاده بثأر وانتقام هنري راندلو مبرر إعلامية فإذا نحينا جانباً القيادات الصليبية سواء علي أرض الشام أو في إيطاليا نجد أن هناك معاقين من الأوروبيين الأحرار علي أرض فلسطين في صورة من عرف باسم جوفري مونوكلوس Gaufridus Monoclus [١٢] ( أي جوفري ذو العين الواحدة أو الأعور ).

وكان احد سكان مستعمرة البيرة الصليبية [١٤] Maqna Mahumeria بالضفة الغربية لنهر الأردن حيث الأرض الخصيبة ووفرة المياه ومن خلال أكبر مخزون للمياه الجوفية في فلسطين، حيث كانت الأرض والمياه الهدف الحقيقي من وراء مقدم الصليبيين أنفسهم إلي الشرق .

لقد كانت تلك المستعمرة إحدى المستعمرات التي أقامها الغزاة الصليبيون علي الأرض الإسلامية السليبة في بلاد الشام وتحديداً فلسطين في القرن ١٢م، علي اعتبار أن الحركة الصليبية ذاتها ما هي إلا حركة الاستعمار ( الاستخراب ) الأوروبي في العصور الوسطي (١٤) كما اكدت تلك الدراسات التاريخية الحديثة .تجدر الإشارة إلي ذلك المستوطن الصليبي قد ورد اسمه ضمن وثائق كنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre في بيت المقدس وكان رقمه (٧٤) في وثيقة مؤرخة بفبراير عام ١١٥٦م وقد ورد فيها عدد سكان تلك المستعمرة قد بلغ (١٤٢) شخصاً .

ولا تقدم لنا المصادر التاريخية الصليبية ما يفيد سبب تلك الإعاقة هل هي نتيجةحادث عارض من احداث الحياة اليومية وهل حدثت له علي الأرض الأوروبية أم أنها وقعت له علي أرض فلسطين المحتلة حينذاك .

أما بالنسبة للمسلمين، فنجد أن الشاعر والدبلوماسي والرحالة أسامة بن منقذ (١٥) (ت ١١٨٨م ) في كتابه الاعتبار أشار إلي العديد من الوقائع الحربية التي ادت إلي حدوث اعاقات جسدية لمن شارك في الأحداث الحربية الطاحنة التي وقعت خلال ذلك العصر .

من ناحية أخرى، نجد عدداً من الشعراء الذين برعوا في ذلك العصر من الذين فقدوا بصرهم، ونجد صدى لهم لدي ما ألفه ياقوت الحموي ( ت١٢٢٨م ) في كتابه معجم البلدان وكذلك ما ألفه العماد الكاتب الأصفهاني ( ت١٢٠١م ) "في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر " علي نحو يؤكد لنا أن الابداع الأدبي ساهم فيه – خلال ذلك العصر – عدد لا يستهان به من الشعراء المعاقين جسداً ولكن أصحاب ابداعاً أدبياً تفوقوا بها علي المبصرين أحياناً !! بصورة دلت علي الصورة الشعرية لديهم .

أما فيما يتصل بصلاح الدين الأيوبي وإعاقته، فنجد أن الشاعر ابن عنين [١٧] (ت ١٢٣٣م) – وهو شاعر معاصر لذلك السلطان، ووصف ببراعته الشعرية – يعد الشاعر الوحيد الذي هجاه كما لاحظ ذلك العلامة جمال الدين الشيال، علي نحو جعل مؤسس الدولة الأيوبية يقوم بنفيه إلي الهند حيث مارس التجارة هناك .

و الواقع ان ابن عنين امتلك نفسية عدوانية، وعند مطالعة ديوانه نجد أن الهجاء – ومنه الفاحش الموغل في فحشه .

اشتمل علي القسم الأكبر منه، كما انه نظم قصيدة من (٥٠٠) بيت عنوانها: مقراض الأعراض، وهو أمر لم يقدم عليه شاعر معاصر ويدل ذلك دلالة وضاحة علي النفسية العدوانية لذلك الشاعر والتي انعكست بالضرورة علي انتاجه الشعري .

ومن المفترض أن ابن عنين كان يتمني ان يجد حظوة لدي السلطان الأيوبي ومن خلال ذلك يصبح من الشعراء الذين اتصلوا به، وعندما وجد إعراضاً منه ؛ شهر سلاحه في هجائه

فكان استثناءً شعرياً حيث أن ذلك السلطان المجاهد امتدحه (٥٠) شاعراً وهجاه شاعر واحد هو ذلك الشاعر المشار إليه !! ويلاحظ أن جانباً مهماً من شهرته التي حققها ترجع إلي ذلك الهجاء لأبرز قائد مسلم من عصر الحروب الصليبية.

ومن المهم هنا أن نذكر ما اورده ابن عنين حيث ذكر ما نصه :

قد أصبح الملك ماله سبب ... في الناس إلا البغاء والكذب

سلطاننا أعرج وكاتبه ... ذو عمش والوزير متحدب [١٨]

معايبُ كلها لو اجتمعت ... في فلكٍ ما تحله الشهب

تجدر الإشارة إلي ان البيت الثاني قد أورده ياقوت الحموي – المعروف بدقته المشهودة – (ت ١٢٢٨م ) في كتابه معجم البلدان، كما ورد لدى ابن كثير ( ت١٣٧٣م ) في كتابه البداية والنهاية، وورد لدي ابن تغري بردي ( ت ١٤٦٩م ) في كتابه البداية النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة علي نحو يؤكد لنا نسبة ذلك البيت لصاحبه بما لا يدع مجالاً للارتياب .

و طالما أن البيت المذكور قد ورد في أشعار بابن عنين وتردد في المصادر التاريخية، وطالما أننا لم نجد من يعارضه أو يهاجمه من المؤرخين المعاصرين والمتأخرين، فالأمر المؤكد انه جاء ليعبر عن واقع تاريخي معاش، وسخط ابن عنين علي ذلك السلطان الذي لم يجد لديه الحظوة التي تمناها ؛ جعله يُنزل عليه جام غضبه من خلال معايرته له بالعرج .

والواقع ليست لدينا أية معلومات عن توقيت اصابة ذلك السلطان بتلك الإعاقة، وهل ولدبها ؟ أم انه أصيب بها في إحدى المعارك العديدة التي خاض غمارها ضد المسلمين والصليبيين علي حد سواء علي مدى الأعوام من ١١٦٩- ١١٩٢م والأرجح – دون إمكانية التأكيد – انه وُلد بها إذ في حالة إصابته بها ؛ لأشارت إليها المصادر التاريخية المعاصرة كثمن جسدي دفعه من اجل قيادة المسلمين نحو الجهاد لتحرير بيت المقدس .

و المرجح أن الإعاقة المذكورة كانت يسيرة وغير ظاهرة ولم تعق صلاح الدين الأيوبي أن يكون فارساً بارزاً شجاعاً في الحرب كما وصفه بذلك المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري Williamof Tyre ، خاصة أنه كفارس كان يمتطي صهوة حصانه وبالتالي لم يكن يحتاج إلي السير علي الأرض خلال تلك المعارك علي نحو يؤدي بالضرورة إلي ظهور عرجه الذي أشار إليه ذلك الشاعر .

ومن خلال دراسات علم اجتماع المعاقين يمكننا القول أن مثل تلك الإعاقة كان لها تأثيرها الكبير في إيجاد رغبة تعويضية لدى ذلك السلطان، ومن المفترض أن تلك الشخصية شارك في دعم دافعيته نحو تحقيق اكبر إنجاز حققه المسلمون في عصر الحروب الصليبية من خلال معركة حطين ( ٤ يوليو ١١٨٧م ) ودخوله معهم بيت المقدس محرراً في ٢ أكتوبر ١١٨٧م، دون اغفال كافة الظروف والملابسات والدوافع الخرى المتصلة بذلك الحدث المحوري البارز دينياً وسياسياً واقتصادياً فيعالم العصور الوسطي .

و الواقع لم تشرد المصادر التاريخية الصليبية في صورة ما ألفه وليم الصوري William of Tyre، والفارس ارنول Ernoul، وامبرواز Ambroise وجودفري أوف فينزوف Godfrey of Vinsauf، وكذلك مؤلف ذيل التاريخ Gontinuation وليم الصوري William of Tyre ومؤلف رحلة حج

ريتشارد ITinerarium Peregainorium of Gesto Regis Ricardi لم تشر إلي مثل تلك الإعاقة، وهي مصادر كان من المتوقع أن تشير إليها بحكم كونها مصادر صليبية معادية، إلا أن اغفالها لتلك الناحية يرجح أن تلك افعاقة كانت محدودة، ولا نغفل أن تلك الإعاقة لم تمنع صلاح الدين الأيوبي من تمتعه بشخصية كاريزمية، تأثر بها حتى المؤرخين الصليبيين المعاصرين له أنفسهم .

الأمر المؤكد ان ابن عنين كان ذا شخصية عدوانية تجاه الآخرين، ومع ذلك ندرك أهمية أشعاره من خلال تناولها الجانب أغفلت المصادر الأخرى الإشارة إليه، وهو يشبه في ذلك – والقياس مع الفارق – المؤرخ ابن الأثير ( ت١٢٣١م ) الذي هاجم ذلك السلطان عدة مرات من اجل النيل منه نظراً لميوله الزنكية الواضحة خاصة ان صلاح الدين أسقط ملكهم في الشام، وهكذا صارت لدينا وجهة نظر أخرى مغايرة علي نحو أدي إلي إثراء وتنوع وتعدد التصورات التقويمية تجاه ذلك السلطان البارز وبالتالي صار لدينا من يعارضه وسط كم ضخم من أولئك الذين ايدوه واعجبوا به من المسلمين والصليبيين علي حد سواء وفي مقدورنا الإقرار بأن عنصر الإعاقة لدي صلاح الدين الأيوبي شكل له نوعاً من العقدة المبدعة [١٩]، وقد تجاوز ذلك بصورة غير مسبوقة ويلاحظ أن مطالعة مراحل تاريخ حياته يدل بجلاء علي انه أثبت كون الاعاقة ليست اعاقة جسد بل اعاقة روح وإرادة تجدر الإشارة إلي أن استعراض المشكلات النفسية التي يعاني منها المعاق وفق دراسات علي النفس والاجتماعي تفيدنا في إلقاء الضوء علي أمر صلاح الدين الأيوبي وإعاقته ؛ وإذ أن عدم وجود مثل تلك الجوانب في شخصيته السلبية التي سبق ايرادها المشكلات التي يعاني منها المعاق وذلك من خلال الصورة العامة التي تقدمها لنا المصادر التاريخية المعاصرة المؤيدة وكذلك العارضة .

-عدم وجودها يؤكد لنا علي حقيقة محورية مفادها أن إعاقته لم تكن كبيرة أو ظاهرة بل محدودة علي الأرجح .

يؤكد الحقيقة المذكورة تسامحه وتواضعه وكرمه وعدم ميله إلي سفك الدماء – إلا في القليل النادر واضطراراً وعدم وجود جوانب عدوانية في شخصيته، ثم حب المعاصرين له علي نحو أوضحه البحث في موضعه من المفترض أن المعاقين المسلمين الذين عاصروا ذلك السلطان الأيوبي وجدوه علي هذا النحو، كانت دافعيتهم لمواجهة الحياة أكبر وأقوى، إذ ها هو رجل معاق قد وصل بكفاحه وعصاميته إلي أعلي منصب سياسي في عصره وصار قابضاً علي دولة امتدت من حلب شمالاً إلي النوبة جوانب ودانت له الموصل بشمالي العراق وصار حامياً باسم الخليفة العباسي للأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز وهي مكانة دينية رفيعة في ذلك العصر .

و قد حاول المؤرخ اللبناني الماروني فيليب متي النيل من السلطان الأيوبي من خلال ايراده لمسألة عرجه [٢٠] في احد هوامش كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ومنطقي ذلك الأمر من مؤرخ كشفت مؤلفاته تعصبه في مواضع عدة الإسلام ورموزه والأمر المؤكد انه لشرف لذلك السلطان أن يحقق المسلمون بقيادته تلك الإنجازات وقد وصف بالصفة المذكورة التي لا تعيبه .بصفة عامة، خلص البحث إلي عدة نتائج يمكن إجمالها علي النحو التالي :

أولا: يمثل المعاقون أهمية خاصة خلال عصر الحروب الصليبية، من خلال الأدوار التي قاموا بها سياسياً وحضارياً، إلا أن المصادر التاريخية لم تعط اهتماماً لهم وقدرت الإشارات المصدرية عنهم علي الرغم من أنهم جزءً لا يتجزأ من عناصر المجتمع سواءً لدي المسلمين أو الصليبيين .

ثانيا : تقدم لنا مناهج علم الاجتماع وعلم النفس فيما يتصل بالمعاقين تفسيراً له شأنه من أجل إدراك الجوانب التعويضية الخاصة بالمعاقين وكيف أن منهم من

يحول الاعاقة من عقدة جسدية إلي إبداع في كافة المجالات وبالتالي حولوا المحنة إلي منحة، وهكذا فبدون وجود دعم من مناهج بحثية لعلوم أخرى ليس من الممكن توقع جديداً في الدراسات التاريخية !!. بصفة عامة، خلص البحث إلي عدة نتائج يمكن إجمالها علي النحو التالي :

ثالثا: شهد عصر الحروب الصليبية وجود العديد من المعاقين لدى كل من الصليبيين والمسلمين علي حد سواء، ومن المفترض منطقياً وجود الآلاف منهم في إعاقات مختلفة منهم من خلال الطبيعة الحربية للصدام بين الجانبين، ومن أمثلة الفريق الأول علي مستوى القيادات السياسية نذكر الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin Iv ( ١١٧٤- ١١٨٥م ) الذي أعيق من خلال أصابته بمرض البرص ؛ وهو مرض جلدي جعله ينضم إلي فريق المعاقين جزئياً وإنلميمنعه ذلك من القيام بأدوار سياسية نشطة علي حساب المسلمين بطبيعة الحال ودوق البندقية هنري داند ومستوطن ليبي في مستو البيرة كان يدعي جوفري مونوكلور (الأعور ) معاق من عصر الحروب الصليبية، ولا ريب في أن دراسة تلك الناحية أفاد في إلقاء الأضواء الكاشفة عن جانب من تاريخه.

رابعا: كان السلطان صلاح الدين الأيوبي معاقاً في قدمه، ولذلك وصف من جانب الشاعر الهَجَّاء ابن عنين (ت ١٢٣٣م ) بالعرج، ومع ذلك فإن تلك الإعاقة لم تكن عاملاً مانعاً له كي يشارك فيصنع تاريخ تلك المرحلة الفارقة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور ومن المفارقات التي تدعو إلي التأمل العميق أن ذلك السلطان المعاق جسدياً كان سبباً في مواجهة إعاقة ذلك العصر المتمثلة في الاحتلال الصليبي الغاشم لبقاع عديدة في بلاد الشام .

خامساً : علي المؤرخين المتخصصين في مجال تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي البحث في شخصية القائد التاريخي من أجل معرفة العوامل والدوافع المحركة له نحو اتخاذ قراراته ومواجهة القوى الصليبية المعادية، وفي هذا البحث اتضح أن ذلك العرج الذي وُصف به ذلك السلطان كان تعبيراً عن العقدة المبدعة التي تجاوزها، ناهيك بالطبع عن جوانب أخرى تمثلت في أصله الكردي المتواضع، وعصاميته، وتفاعلت كافة هذه العناصر مع الذكاء الفطري الذي توافر له وعشقه للجهاد واكتساب خبرات سياسية وعسكرية سريعة كي تتكامل معاً في صنع مكانته البارزة في تاريخ تلك المرحلة الفارقة في تاريخ الحروب الصليبية سواء لدي الشرق والغرب علي حد سواء .ذلك عرض عن المعاقين عصر الحروب الصليبية في القرن ١٢م وصلاح الدين الأيوبي كنموذج لهم .

## الهامش

١- عن افعاقة والمعاقين أنظر :

الجاحظ ،البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرس الخولي ،ط . القاهرة ١٩٧٢م، الصفدي، الشعور بالعورتحقيق عبد الرازق حسين ،ط. عمان ١٩٨٨م، نفسه ،نكت الهميان ف نكت العميان ،ط. القاهرة ١٩١١م، سلامة البلوى، رعاية الفئات الخاصة، سلسلة اللمسات الإنسانية في الحضارة الإسلامية ،ط. الشارقة ٢٠٠٣م، إقبال إبراهيممخلوف، الرعاية الطبية والصحية ورعاية المعوقين ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٠م، هاني سليمانالطعيمات،حقوق فئات ذات أوضاع خاصة ،ط. عمان ٢٠٠١م، محمدمحمود الصفور، الرعاية الاجتماعية للمعاقين في التراث العربي الإسلامي، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، العدد (١٧) نيسان ١٩٩١م، منصور الخطيب، رعاية الفئات الخاصة واسهاماتها في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ،جامعة الشارقة عام ٢٠٠٨م، عادل بن مبارك المطيرات، أثر العاهات في العبادات ،ط. ١٩٩٥م، محمد عبدي احمد، الابداع عند المعاقين ،ط. دبي ٢٠٠٤م، روحي عبيدات، الإساءة الموجهة للمعاقين، الأسباب واستراتيجيات الوقاية والعلاج، ط. عمان ٢٠١١م، خوله احمد يحيي، الإعاقة العقلية، ط. عمان ٢٠٠٥م، يوسف الفريوني، الإعاقة بين الوقاية والتأهيل، ط. العين ١٩٩٠م، عبد الزاق حسين، الإعاقة في الأدب العربي، ط. الشارقة ١٩٩٩م، عدنان الجزولي، الإعاقة في التشريعات المعاصرة، الرباط ٢٠٠٣م، محمد مرسي محمد، التدخل المبكر للحد من الإعاقة، ط. ١٩٩٥م، عبد العزيز السرطاوي، التدخل المبكر للحد من الإعاقة ،ط. دبي ١٩٩٦م، علي بن سعيد بن عامر، الحقوق الاتصالية للمعاق ،ط. دبي ١٩٩٧م، مريم إبراهيم حنا، الرعاية الاجتماعية والنفسية للفئات الخاصة والمعاقين، ط. الإسكندرية ٢٠١٠م، عبد الفتاح عثمان، الرعاية

الاجتماعية والنفسية للمعاقين، ط . القاهرة ١٩٨١م، عفاف احمد فراج، الفن وذوي الاحتياجات الخاصة، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، عبد الله باقر بوكلاه، المعاقين من منظور إسلامي، ط. ١٩٩٤م، علي بن إبراهيم الزهراني، حقوق المعاقين في التربية الإسلامية ،ط. المدينة المنورة ١٩٩٨م، مجموعة من الباحثين، دليل التوعية والتثقيف في مجال الإعاقة، ط. المنامة ٢٠٠٠م رمضان محمد القذافي، سيكولوجية الإعاقة ،ط. طرابلس الغرب ١٩٩٣م، عبد الفتاح علي غزال، سيكولوجية الفئات الخاصة ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٨م، ط. القاهرة ١٩٦٤م، عبد الحميد السيد محمد، كتاب التعويق " الإعاقة " ،ط. القاهرة ١٩٩٨م، ماجدة السيد عبيد، مدخل إلي التربية الخاصة، ط. عمان ٢٠٠٩م، أحمد الشرباصي، في عالم المكفوفين ،ط. القاهرة ١٩٥٦م مختار حمزه، سيكولوجية ذوي العاهات والمرضي، ط. دمشق ١٩٩٩م .

(٢)عبد الفتاح عثمان، الرعاية الاجتماعية والنفسية للمعاقين ،ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٣٩.

(٣) نفسه، ص ١١.

(٤) نفسه، ص ٣٧- ص٣٨.

(٥) عن بلدوين أنظر:

وليم الصوري، الحروب الصليبية ،جـ٢، ص ٩٧١- ص ١٠٧٦.

P.Aube, Baudouin Iv de Jerusalem, Roi et lepreux, paris 1981. B.Hamiltou ,Baldwin Iv, The leper king and his Hers, Cambridge 2000.

ياسر كامل، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع ١١٧٤- ١١٨٥م ن رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة اسيوط عام ٢٠٠٩م، أشيد برسالة تلميذي النابه / ياسر كامل وهي تتفوق بجدارة علي الدراستين المذكور تين وهي من تأليف باحث واعد يملك كافة مقومات النجاح بإذن الله تعالي !!.

محمد مؤنس عوض، المشكلات التي واجهت الصليبيين في بلاد الشام في القرنين ١٢، ١٣م وانعكاسها علي الصراع العربي – الإسرائيلي، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (٣١)، سبتمبر ٢٠١٢م، ص ٤٤.

(٦)عن الملك عموري أنظر :

William of Tyre, AHistory of deeds done beyond The Sea, Trans. Babcock and kren, vol.II, Now York 1943, 10.295-396.

G.Schlumberger, les Compaignes de Roi Amaury, paris 1906. M. Baldwin, The latin states under Baldwin III and Amalric I (1143- 1174), in setton (ed.) Ahistory of The Gusades, Vol. I, Wisconson 1969,n528-548.

حجازي عبد المنعم، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك عموري ( ١١٦٣- ١١٧٤م )، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة المنوفية عام ٢٠٠٤م .

محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي – الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ ١١٤٦- ١١٧٤م ،ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٧٧- ص ١٠٦.

William of Vol.II,p.431.

يوسف درويش غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ط. عمان ١٩٨٢م، ص ١٢١، نفسه، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، ط. عمان ١٩٨٣م، ص ١٨٩، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين،ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٤١٢، محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي- الصليبي معركة أرسوف ( ١١٩١- ٥٨٧هـ ) ،ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٥- ٤٧.

(٧) عن حملة إرناط علي الحجاز عام ١١٨٣م أنظر:

Ernoul,Chronique d, Ernoul et Bernard le Tresorier ,ed ,Mas latrie, Paris 1961,p.69-70.

أبو شامة، الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ،ط. بيروت ب- ت، جـ٢، ص ٣٧، ابن منكلي، الأحكام الملوكية والضوابط النموسية في فن القتال في البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة، بكلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص ١٥- ص ١٦.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية هي صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٦٣م، جـ٢ ٧٨٦، نفسه .

(٩) عن هنري راندلو أنظر :

حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ،ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٢٥٠، محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٥٠، محمد محمد مرسي الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ٣٨٧- ص ٣٨٨، إسحق عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس ضد الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٣٢٨، سيد الناصري، الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربي، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٤٣٧.

(١٠) عن الإمبراطور مانويل كومنين أنظر :

John Kinnamas, Deeds of John and Manuel Commenus, Trans Charles M. Brand, Colombia 1976.

Magdalino,The Empire of Manuel I Comnenos 1143K Combridge 1997.

علي عودة الغامدي، " معركة مرياكيفالون ١١٧٦م"، مجلة كلية الشريفة ص ١٥٠، حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٢١٧- ٢٣٧ محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل

كومنين ،ط. الإسكندرية ١٩٨٥م ( تعد الدراسة المذكورة أفضل إنجاز علمي في موضوعها ) .

محمد مؤنس عوض، نور الدين محمود ( ١١٤٦- ١١٧٤م ) ومانويل كومنين ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، جـ١ القاهرة ٢٠٠٩م ن ص ٥٣- ص ٥٤، نفسه الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٢٦- ٣٢٨ .

محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القرن ١١- ١٣، ط. الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٢٢٠- ص ٢٢١، علي صالح المحيميد، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ٢٣٣، حاشية (١)، محمد نجيب الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر آل كومنين ١٠٨١- ١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م، ص ١٨٤.

Niketaschoniates,O,city of Byzantium, Annals of Nicetas chniates,Trans. HarnyMagolias, wayne state university,Dettroit 1984,pp.166-167.

وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٣٣- ص ١٠٣٥، هويدا محمد بنيره، علاقات المودة والمراسلات بين صلاح الدين الأيوبي والأباطرة البيزنطيين ١١٨١- ١١٩٢م /٥٧٧- ٥٨٩هـ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية العدد (٦٧) عام ٢٠٧م، ص ٢٣٩.

عن سقوط القسطنطينية خلال الحملة الرابعة عام ١٢٠٤م أنظر :

The Register of Innocent III ,in Contermporary Sources for The Fourth Crusade,ed .Alfred J.
Andren and brette E.whalen , Leiden 2000,pp.7-176.

Robert clari ,the Conquest of Constantinople , Trans .E .H M, Neal ,New York 1936.

محمد مجدي حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة المنيا عام ١٩٨٨م، إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ط. القاهرة ١٩٧٠م، إرنست باركر، الحروب الصليبية، ط. بيروت ب .ت، ١٠٢– ص ١٠٤، محمد الخطيب، حضارة أوروبا في العصور الوسطي، ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ٩٠ محمود مؤنس عوض، مستوطنة البيرة الصليبية .

Magna Mahumeria( ١١١٥– ١١٨٧ م / ٥٠٩– ٥٨٣هـ )، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات ،ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٢٤٢.

(١٤) عن مستعمرة البيرة الصليبية أنظر :

Theoderich, Description of The Holy land, Trans. A.Stewart, p.pT.S.,Vol.II London 1896,p.60.

John of Wuizbury,Description of The Holy Land,Trans. A.Stewrt, P.P.T.S., Vol .II ,London 1896,p.14,note (3).

M.Abel, "les Deux Mahumerie El Biro ,El quoubeibeh" , R.B,T., T.XXXv,1926,pp272- 283.

P.Pringle," Magna Mahumeria (Al.Bira): The Archaeology of of ranukish New Town in Polestine" ,in Crusade and Settlement, ed .p.Edbury, Cardiff 1985, pp.148- 168.

سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩– ١٢٩١م )، ط . الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ٢٨٣، محمد مؤنس عوض، أضواء علي مستوطنة البيرة الصليبية Magna Mahumeria (١١١٥– ١١٨٧م / ٥٠٩–

٥٨٣هـ )، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٥٣- ص ٩٣.

(١٥) عن ذلك أنظر :

J.Prawer ,Thelatin kingdom of Jerusalem , European Colonialism in The middle Ages , London 1972.

(١٦) عنه أنظر :

أسامة بن منقذ، الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. برنستون ١٩٣٠م ن مقدمة التحقيق، محمد أحمد حسين، أسامة بن منقذ ،ط. القاهرة ١٩٦٨م، نفسه، فارس الفرسان ،ط. القاهرة ١٩٧٤م، وفاء محمد علي، بنو منقذ ودورهم زمن الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٩٧٩م .

(١٧) من أمثلة المعاقين من عصر الحروب الصليبية من القضاة والأطباء نحو خاص والشعراء نذكر الآتي :

مهذب الدين ان خوار (ت ١١٢٣٠م) – ابن عبد الدايم الحنبلي (ت ١٢٩١م )
ابن معقل الحمصي (ت١٢٤٦م ) – أبو النجم الأميري (ت ١٢١٤م )
عرقلة الدمشقي (ت ١١٧١م ) – تاج الفركاح ( ت١٢٩١م )
شرف الدين ابن أبي عصرون (ت ١١٨٩م )

ومن الممكن العودة إلي هذه الدراسة الممتازة التي تعتمد علي العديد من أوثق المصادر التاريخية .

كارين صادر ونصير الجوهري، معجم الأدباء ذوي العاهات ( الأعلام الجبابرة )، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ٣٧- ص ٣٨، ص ٤٦، ص ٥٣- ص ٥٤، ص ٧٤- ص ٧٥، ص ١٠٢- ص ١٠٣، ص ١٨٥- ص ١٨٦، ص ١٩٥- ص ١٩٦، ص ٢١٠- ص٣٢٧.

(١٨) عن ابن عنين أنظر :

ابن عنين، ديوانه، تحقيق خليل مردم، ط. دمشق ١٩٤٣م، مقدمة التحقيق، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس ،ط. بيروت ١٩٩٣م . ص ١٥٦٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان وابناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٨م، جـ٥، ص ١٤- ص ١٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفي زيادة ،ط. القاهرة، جـ١ / ق١، ص ٢١١، جمال الدين الشيال " ابن عنين ٥٤٩- ٦٣٠هـ الشاعر الوحيد الذي هجا البطل صلاح الدين "، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، ط. بيروت ١٩٦٤م، ص ٦٣- ص ٧٢، محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة ،ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٧٠، عمر فروح، تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلي الفتح العثماني، ط. بيروت ١٩٨٤م، جـ٤، ص ٥١٤- ص ٥١٧ محمد ياسين الحموي، شاعر دمشق ابن عنين ،ط. دمشق ١٩٥٢م، محمد زغلول سلام، الأدب في عصر صلاح الدين الأيوبي، ط. الإسكندرية ب.ت، ص ٣٤٠- ص ٣٤٩.

(١٩) عن ذلك أنظر :

ياقوت، معجم الأدباء ،جـ٤، ص ١٥٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، جـ١٣، ص ١٨٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط. القاهرة ب.ت، جـ٦، ص ٢٩٣.

من المهم الرجوع إلي هذا الكتاب الموجز المهم . آمال العمدة، عقدتي، ط. القاهرة ١٩٨٥م .

(٢١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ت كمال اليازجي مراجعة جبرائيل جبور ،ط. بيروت ب.ت، جـ٢، ص ٢٤١، حاشية (٨)

# صلاح الدين الأيوبي

## (١١٧١- ١١٩٣م)

## قائداً كاريزمياً من عصر الحروب الصليبية

# صلاح الدين الأيوبي
# (١١٧١- ١١٩٣ )
# قائداً كاريزميا من عصر الحروب الصليبية

يتناول هذا البحث بالدراسة جانباً مهماً ومؤثراً في تاريخ صلاح الدين الأيوبي (١١٧١- ١١٩٣م ) في صورة امتلاكه لشخصيه كاريزمية [١] كان لها أثرها علي تاريخ تلك المرحلة المؤثرة والحاسمة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي التي عرفت بالحروب الصليبية .

يواجه الباحث في الموضوع المذكور عدة مصاعب تتمثل في ندرة الإشارات المصدرية، وبالتالي علينا تحليل النصوص التاريخية القليلة والنادرة دون افتعال أو فرض فكرة مسبقة أو قولبة أو اعتساف الأحكام علي نحو يتعارض مع الموضوعية التاريخية.

يضاف إلي ذلك عدم عثوري علي بحث ما باللغة العربية أو الإنجليزية في الموضوع المذكور، ولعل من أسباب ذلك عدم اقتناع قطاع كبير من المؤرخين – خاصة العرب للأسف الشديد – بأهمية الإفادة مما يسمونه بالعلوم المساعدة – علي الرغم من انها واقعياً ليست مساعدة بل اساسية لكتابة التاريخ وبالتالي لا تتم الإفادة من علم الاجتماع السياسي [٢] وعلم النفس والدراسات الخاصة بالشخصية ومقاييسها[٣]، علي الرغم من ان ذلك من شانه إثراء الكتابة التاريخية من خلال منهج علمي لا يقف عند حدود الروايات التاريخية المعتادة والتقليدية من عالم العصور الوسطي، بل ينظر إليها من خلال رؤية متجددة قدر المستطاع .

وقد يري البعض أن صلاح الدين الأيوبي قد تناولته مئات الدراسات بالعديد من لغات العالم [٤] خاصة لغات الشعوب التي شارك قادتها في المشروع الصليبي في العصور الوسطي كالإنجليز، والفرنسيين، والألمان، علي نحو يجعل من الصعوبة بمكان

إعداد ببليوغرافيا شاملة لدراسات تاريخه، وبالتالي لا حاجة لدراسته من جديد، إلا أنه مع تقديري لأصحاب ذلك التصور، فإن ذلك السلطان المجاهد بعد ثمانية قرون وعقدين من رحيله، لا تزال هناك جوانب من تاريخه تحتاج إلي المزيد من تسليط الأضواء نظراً لثراء، وتنوع، وخصوبة شخصيته والعصر التاريخي ذاته الذي عاش فيه وكذلك الإعلام البارزين الذين أحاطوه وشاركوه صنع قراراته الحربية والسياسية والطبيعة الخصبة لعصر المواجهة بين عالمي الإسلام والمسيحية تجدر الإشارة إلي أن كلمة كاريزما Charisma يونانية الأصل وتعني موهبة إلهية، ومن هذا الأصل تم استخدامها للإشارة إلي نوع من القيادة المتميزة بمواهب شخصية أشبه بالسحر والقدرة علي إثارة الجماهير مما أعطاها صفة القيادة أو الزعامة الملهمة Charismatic Leadership [٥].

يلاحظ أن عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر [٦] Max Fiber (١٨٦٤-١٩٢٠م) اتجه إلي التأصيل لمفهوم الكاريزما، وقد أدرك أن القائد الذي يتمتع بها يكون صاحب موهبة، ولديه نعم إلهية من خلال قوة إلهية مقدسة[٧] وأن الكاريزما تعد قوة خلاقة مؤثرة في التاريخ ومن الضرورة دراستها من خلال البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي تحيط الزعيم صاحب مثل تلك الشخصية بالشخصية الكاريزمية هو الزعيم الملهم وكأن الله تعالي قد خصه بالإلهام والعمل الخارق، ولذلك يملك القدرة علي أسر لُب الجماعة وبالتالي فإنهم يتدفقون نحو تنفيذ أوامره من خلال تأثير شخصيته عليهم [٨] .

و الواقع أن هناك عدة أمثلة أكدت توافر الشخصية الكاريزمية لدي ذلك السلطان الأيوبي، والدليل علي ذلك يتمثل في الآتي :

أولا: قرر الطبيب والجغرافي والرحالة العراقي موفق الدين عبد اللطيف البغدادي [٩] (ت١٢٣١م ) وقد تعامل مع صلاح الدين الأيوبي مباشرة عندما ألتقي به في

مصر – قرر ما نصه : " رأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة، والقلوب محبة، قريباً بعيداً سهلاً محبباً، وأصحابه يتشبهون به يتسابقون إلي المعروف"[١٠] وهي شهادة لها شأنها من ذلك الطبيب الذي كان من أعلام عصره، وألتقي بالعديد من الشخصيات وبالتالي فإن قوله له أهمية خاصة في تقيمنا لشخصية ذلك السلطان .

ثانيا: إن مؤرخ سيرته القاضي بهاء الدين بن شداد [١١] (ت ١٢٣٤م ) كان قد قَدُم إلي صلاح الدين الأيوبي سفيراً من جانب حاكم الموصل وقد تعلق به منذ اللقاء الأول، وصار بعد ذلك ملازماً له علي مدى الست سنوات الأخيرة من حياة السلطان الأيوبي وكان من النادر أن يفارقه وهي مرحلة علي جانب كثير من الأهمية منذ أعقاب معركة حطين وأحداث الصليبية الثالثة حتى وفاة ذلك السلطان عام ١١٩٣م .

ثالثاً : التفاف الجماهير من حوله سواءً من العسكريين وكذلك القيادة، بصورة لم تحدث من قبل لأي قائد عسكري من قادة حركة الجهاد الإسلامي منذ عهد شرف الدين مودود ( ت١١١٣م ) وعماد الدين زنكي (ت١١٤٦م ) ونور الدين محمود ( ت١١٧٤م ) وغيرهم دون التقليل من أهمية ادوارهم التاريخية بطبيعة الحال، ويُلاحظ أنه علي مدي أعوام حكمه (١١٧١- ١١٩٣م )، لم يظهر أي منافس له يُعد نداً له بصورة أكدت خضوع الآخرين له وتأثرهم بشخصيته بالصفة المذكورة وذلك علي الرغم من الهزائم التي مني بها خاصة خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩- ١١٩٢م ) .

رابعا: إعجاب مؤرخي الصليبيين والبيزنطيين بصورة لم تتأت لأي قائد مسلم سابق علي عصره، ومن أمثلتهم نذكر المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري [١٢] William of Tyre ( ت١١٨٦) الذي ذكر عنه : أنه

فارس شجاع في الحرب، كريم إلي درجة السخاء، حذر، يملك روح المبادرة[١٣]، وذلك علي الرغم من أنه هاجمه في مواضع أخرى من تاريخ Historia rerum كما أن الفارس إرنول Ernoul[١٤](ت .ق١٢م ) أشاد بإنسانيته عندما دخل بيت المقدس فاتحاً في ٢ اكتوبر ١١٨٧م عندما تسامح مع أعدائه الصليبيين أما المؤرخ البيزنطي المعاصر نيكتاس خونياتس Nicertas Choniates[١٥] (ت . ق ١٣م )، فقد ذكر ما نصه : "إن المسلمين اكثر رحمة وإنسانية من الصليبيين، فعندما استعادوا بيت المقدس عاملوا اللاتين بلطف ورقة، وحافظوا علي حريمهم ولم ينتهكوا ولم يدنسوا علي الإطلاق قبر المسيح، وحرصوا علي دفن موتاهم بجواره، هذا بينما في يوم سقوط القسطنطينية في قبضة هؤلاء اللصوص من العناصر الصليبية أسرعوا بنهب المنازل التي يقيم فيها الآمنون، وأكرهوا سكانها علي ارشادهم عن أماكن إخفاء أموالهم وعاملوا البعض بقسوة وعنف "[١٦]، وتدل عباراته علي تقدير ضمني لقائد المسلمين صلاح الدين الأيوبي الذي عامل جيش الصليبيين علي هذا النحو علي خلاف ما فعله الصليبيون عندما دخلوا القسطنطينية عام ١٢٠٤م. ولا مراء في أن مثل تلك الصفات التي أوردها مؤرخون لم يدينوا بالإسلام ترجح لنا تأثرهم بشخصيته الكاريزمية وذلك علي الرغم من أنه كان قائداً لأعدائهم المسلمين !!.

خامسا: تأثر الصليبيون بتلك الشخصية حتى بعد أن عادوا إلي بلادهم ،إذ نسجوا حوله أسطورة عرفت بأسطورة صلاح الدين Legend of Saladin [١٧] حيث صوره وقد تزوج من اليانور Eleanar أم ريتشارد قلب الأسد Richard Lion heard (١١٨٩- ١١٩٩م) [١٩] وزوجة لويس السابع(١١٣٧- ١١٨٠م )، Louis VII ملك فرنسا ومن بعده هنري

الثاني Henry II (١١٥٤- ١١٨٩م ) ملك إنجلترا بل هناك من يقرر أن الإنجليز ظهرت لديهم أسطورة تعلل عظمة توماس بيكت Thumus Picketرئيس أساقفة كانتربري Canterbury الذي قتل في عهد الملك هنري الثاني Henry II (١١٥٤- ١١٨٩م ) من خلال جعله ابنا لأم عربية من نسل صلاح الدين الأيوبي [٢٠] .

أما بالنسبة للفرنسيين فانبهروا به وبأخلاقه ولذلك اعتقدوا أنه قُلد بمراسيم الفروسية الأوروبية في العصور الوسطي، وأنه انحدر من أسرة فرنسية من نبلاء فرنسا بابتداعهم لشجرة نسب أسطورية تشير إلي أن جدة صلاح الدين هي حفيدة أمير فرنسي يدعي بونسو وأعتقدوا أنه كان تركياً وجدت في عروقه الدماء الفرنسية [٢١] .

بصفة عامة، يعد صلاح الدين الأيوبي القائد المسلم الوحيد الذي نسجت بشأنه مثل تلك الأسطورة في العصور الوسطي بصفة عامة ومرحلة الحروب الصليبية علي نحو خاص وما كان ذلك ليحدث ما لم يتمتع بشخصية أخاذة آثره اجتمع علي الإعجاب والانبهار بها المسلمون والمسيحيون واليهود علي حد سواء .

وفي هذا الصدد، يقرر المؤرخ اليهودي الياهو أشتور . E. Ashtorأنه في أوروبا في القرن ١٤م – بعد أن انتهت الحروب الصليبية في الشرق – وفي الليالي المظلمة، كان الأوروبيون يجتمعون عند المدفئة كي يستدفئون وهم يرددون قصصاً عن صلاح الدين [٢٢] ؛ مما دل علي بالغ إعجابهم به وانه تمكن من غزوهم في عقر دارهم في الغرب الأوروبي .

سادسا: جنازته الضخمة التي لدينا وصف دقيق عنها في صورة ما أورده مؤرخ سيرته بهاء الدين بن شداد، حيث ذكر ما نصه :" وكان يوماً لم يصب المسلمون والإسلام بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين، غشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمها إلا الله تعالي، وبالله لقد كنت أسمع من يعلن الناس أنهم

يتمنون فداء من يقر عليهم بنفوسهم، وما سمعت هذا الحديث إلا علي ضرب من التجوز والترخص إلي ذلك اليوم فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفداء لفدى بالنفس "[٢٣] وهذا المقطع يكفي للتأكيد علي كاريزما ذلك السلطان بصورة جلية لا لبس فيها .

كما أن موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ذكر عن تلك الجنازة ما نصه " وجد الناس عليه شبيها بما يجدونه علي الأنبياء وما رأيت ملكاً حزن الناس بموته سواه لأنه كان محبوباً يحبه البر والفاجر والمسلم والكافر[٢٤]، وفي هذا النص دلالة قوية علي أن معاصريه من المسلمين وكذلك الصليبيين أنفسهم، حزنوا حزناً شديداً علي وفاته وما كان ذلك ليحدث ما لم يكن ذلك السلطان صاحب شخصيته كاريزمية آثرة .

وفي تقديري أن النص الأخير أكد الأمر بصورة واضحة، وهكذا فإن هذين المؤرخين المعاصرين لصلاح الدين الأيوبي زادا اقتناعنا بأن ذلك الجانب الكاريزمي لا ينكر خاصة عبارة "وجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونه علي الأنبياء " :

تجدر الإشارة إلي ان كاريزما ذلك السلطان .بلغت أقصي حدود تأثيرها علي معاصريه من المسلمين عندما حدثت معركة حطين في ٤ يوليو ١١٨٧م، والتي شكلت أكبر انتصار عسكري حققه المسلمون ضد الصليبيين منذ أقدم الغزاة إلي بلاد الشام في أخريات القرن ١١م، وقد استتبع ذلك تحرير بيت المقدس التي كانت – ومازالت – رمزاً للجهاد الإسلامي والتي ظلت في قبضة الغزاة من ١٥ يوليو ١٠٩م إلي ٢ أكتوبر ١١٨٧م، وكانت بمثابة الحلم الطاغي للمسلمين الذين أرادوا تحقيقه من خلال تحريرها من الغزاة الصليبيين والتي من أجلها دفعوا التضحيات الجسيمة علي مدى ثمانية عقود وكان دخوله لها سلمياً أكبر الأثر في انبهار الصليبيين بذلك القائد المختلف عما عهدوه في ذلك العصر . ولا ريب في أن

الإنجازين المذكورين بالإضافة إلي قيادته لمواجهة الحملة الصليبية الثالثة بكل ثقلها السياسي والعسكري (١١٨٩- ١١٩٢م ) كل ذلك جعل كاريزميته تصل إلي أقصى تأثيرها، خاصة اصراره علي الحفاظ علي بيت المقدس دون تفريط .

و لا نغفل كذلك أنه عندما توفي في ٤ مارس ١١٩٣م ترك في خزانته ديناراً و(٣٧ ) درهماً علي نحو أكد عملية عدم افتتانه بالمال وزهده فيه علي خلاف حكام مسلمين آخرين عاصرهم !!،.و من بعد ذلك، عندما دخل البيت الأيوبي في صراعات ومشاحنات مريرة أيوبية – أيوبية كان المعاصرون من المسلمين يقارنون بين إخلاص ذلك السلطان لقضية الجهاد وتحرير بيت المقدس بقيادته، وبين أبنائه الذين تناحروا علي نحو جعل الحنين إليه يتدفق في القلوب، وكأن مثل تلك الصراعات جعلته أكثر حضوراً بعد وفاته !!.

فإذا أضفنا إلي ذلك كله الجانب العاطفي الذي امتازت به شعوب الشرق عموماً والعالم الإسلامي جزء لا يتجزأ منه خاصة دول الوديان الفيضية كما في مصر والعراق وبلاد الشام، ناهيك عن الحنين إلي الماضي علي نحو جارف ؛ كل ذلك دعم كاريزمية ذلك السلطان خاصة مع عدم وجود منافس له من بعده وارتباطه في الأذهان – عموماً – بتحرير بيت المقدس من براثن العدوان الصليبي وعندما توالي الحكام الضعاف الذين فضلوا مصالحهم الشخصية علي مصالح الجماهير ازدادت مكانة صلاح الدين الأيوبي بعد ان صار رمزاً وقدوة توارثتها الأجيال ( وهو أمر لا يزال قائماً إلي اليوم من خلال كتائب صلاح الدين التابعة لحركة المقاومة الإسلامية حماس بقطاع غزة).

تجدر الإشارة إلي أن الصليبيين أنفسهم شاركوا- دون أن يدروا بطبيعة الحال –في صنع كاريزما صلاح الدين الأيوبي، فمع توالي العقود في الصراع الحربي بين المسلمين وأعدائهم، ومع الخسائر البشرية والمادية الفادحة التي دفعها أبناء الأرض

الأصليين في مواجهة الغزاة الدخلاء ؛ بحثت الجماهير المسلمين عن " البطل الرمز " الذي يلتفوا حوله في مواجهة أول عملية احتلال عسكري لمناطق المسلمين منذ القرن السابع الميلادي أي منذ.

وفي تقديري كنوع من الرياضة الذهنية علي اعتبار انه لا يوجد لو في التاريخ – في حالة عدم حدوث العدوان الصليبي أصلاً لما كان لتلك الشخصية القيادة كل ذلك التأثير علي المسلمين، وهكذا فإن الصليبيين بعدوانهم ودمويتهم وتعصبهم جعلوا المسلمين يلتفون حول ذلك القائد من خلال فكرة "البطل المخلص " وكانت لديه من الصفات ما جعل تلك الجماهير تتعلق به بصورة غير مسبوقة في عصر الصراع المتأجج بين عالمي الإسلام والمسيحية .

والواقع أن دراستنا لكاريزما السلطان المذكور لا تدفعنا دفعاً نحو تبني نظرية الرجل العظيم التي نادي بها المفكر البريطاني توماس كارليل Thomas Carlyle (١٧٩٥– ١٨٨٥م ) في كتابه الأبطال، حيث تصور أن التاريخ يتحرك من خلال مجموعة من الأبطال وقد تأثر في ذلك بمعطيات العصر الفكتوري Victoriam Age في بريطانيا .

والواقع أن البطل التاريخي نتاج عصره وشعبه والتأثير متبادل بين الجانبين ؛ أي بين البطل الفرد، والبطل المجموع أو الشعب ناهيك تأثير العصر التاريخي بأفكاره ومثله ورموزه وبالتالي فإن كاريزما صلاح الدين الأيوبي هي نتاج طبيعي لعصر الحروب الصليبية التي جعلت من البطل كل ذلك التأثير علي معاصريه .

جدير بالذكر، كان للشخصية الكاريزمية لصلاح الدين الأيوبي أثرها خلال عصر الحروب الصليبية والمواجهة الشرسة بين المسلمين والصليبيين في إحكام قبضته علي الجبهة الإسلامية — خاصة بعد القضاء علي المعارضين السياسيين المسلمين، وقد تأكد معاصروه المسلمون أنه بالفعل رجل الجهاد الذي نذر له نفسه، علي نحو

أدي في نهاية المطاف إلي صنع إنجاز حطين ١١٨٧مو تحرير القدس من بعد ذلك – كما اسلفت – ولا تفهم الفقرة السابقة أن تلك الكاريزمية كانت هي وحدها وراء كافة النجاحات المذكورة، بل من قبلها ويعدها عمل جماعي تحت قيادته لعدة أعوام طوال من أجل الوصول إلي تحقيق الهدف المنشود المذكور .

وهكذا، فإن مثل تلك القيادة تمكنت توحيد الصفوف معاً من أجل ذلك الأمر . من جهة اخرى، كان لتلك الكاريزما – علي ما هو مفترض – أثرها في أقدام الصليبيين علي اعتناق الإسلام علي يديه، فيلاحظ أنه في اعقاب الانتصار الحاسم في حطين عام ١١٨٧م، اتجه عدد من الفرسان الصليبيين نحو اعتناق ذلك الدين [٢٥] وشكل ذلك اعتناقاً جماعياً مصغراً من جانب الغزاة ومن المهم هنا الاقرار بأن الإسلام كدين كان العامل الأساسي والأول فيهذا الأمر وأتت الكاريزمية كعنصر معاون كذلك تذكر المصادر الصليبية أنه خلال ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩– ١١٩٢م )، اتجه عدد كبير من الصليبيين إلي اعتناق الإسلام وإن ادعت تلك المصادر أنذلك كان دافعه حدوث مجاعة أصابت معسكرهم [٢٦] وهو أمر تفنده حالات اعتناق عديدة من جانب الصليبيين سابقة ولا حقة وهكذا كان كاريزما ذلك السلطان ساعدت – بصورة أو بأخرى – في الدعوة إلي الإسلام من خلال سلوكه المنطوي علي قيم الفروسية الشرقية النبيلة، وهكذا استطاع افقاد الصليبيين أنفسهم مبرر حربه وحرب المسلمين وأتصور أن ذلك من أبرز مظاهر الانتصار علي الأعداء .

كذلك أثرت تلك الكاريزمية في غزارة التأليف عنه بالعديد من لغات العالم من جانب العديد من المؤرخين والكتاب علي اختلاف دياناتهم ودولهم من العصور الوسطي وحتى عصرنا الحالي حتى ان المؤرخة الفرنسية جنفياف شوفيل [٢٧] تقمصت شخصيته، وألفت كتاباً عنه من خلال ذلك علي نحو دل علي أثر تلك. الكاريزما

حتى بعد رحيل ذلك السلطان بعدة قرون علي امرأة تعد – تاريخياً – من حفدة الصليبيين الذين حاربهم ذلك القائد المسلم !!.

تجدر الإشارة إلي أن التأثير الكبير لكاريزما صلاح الدين الأيوبي، لم تمنع البعض من معارضته ومهاجمته حتى ممن عاصروه، ونجد مثالاً جالاً علي ذلك في صورة ابن الأثير ( ت١٢٣٢م ) الذي هاجمه في مواقع عدة من كتابه الكامل في التاريخ وترصد له الأخطاء، كما في حالة فشل الجيش الأيوبي في الاستيلاء علي مدينة صور اللبنانية الحصينة ١١٨٨م، وكذلك هزيمة صلاح الدين وجيشه في معركة أرسوف عام ١١٩١م مع ملاحظة أن ذلك الهجوم يُعلل بتوجهاته وميوله السياسية تجاه الزنكيين وهم الذين كانوا سادة الموصل، كما أنه عاني من ويلات الحصار من جانب الأيوبيين لحاضرة شمالي العراق البارزة . ومن الذين لم يتأثروا بكاريزما صلاح الدين الأيوبي الشاعر الهَجَّاء ابن عنين ( ت ١٢٣٣م ) الذي يعد الشاعر الوحيد الذي هجا ذلك السلطان حيث قال فيه :

سلطاننا أعرج وكاتبه ... ذو عمش والوزير منحدب [٢٩]

وبالتالي هجاه بما كان لديه من عرج، ومع ذلك يلاحظ أن هناك نحو (٥٠) شاعراً قاموا بامتداح صلاح الدين الأيوبي [٣٠] ويكفي مطالعة الحطينيات ؛ وهي القصائد التي القيت في اعقاب معركة حطين الحاسمة، وكذلك القدسيات وهي القصائد التي ألقيت في أعقاب فتح بيت المقدس ؛ يكفي مطالعة ذلك كي يتأكد لنا العدد الوافد من الشعراء الذين امتدحوه وهو ما يمثل فيما أورده العماد [٣١] (ت ١٢٠٠م) في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر الذي ترجم فيه العماد لأعلام شعراء عصره وقدم لنا نماذج ثرية من ابداعاتهم الشعرية .

واقع الأمر، إن صلاح الدين الأيوبي علي الرغم من الإعاقة التي وجدت في رجله وصف من جانب ابن عنين بالأعرج، إلا أن كاريزمية – كما اتضح لنا – كانت

ذات تأثير بارز، واتصور أن عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام وعلي مدى القرنين ١٢، ١٣ م لم يشهد قائداً كاريزمياً ومعاقاً في نفس الحين كما في حالة ذلك السلطان .

تجدر الإشارة إلي ان وصف مؤسس الدولة الأيوبية بانه امتلك شخصية كاريزمية، لا يعني أن الصليبيين أنفسهم ما كانت لهمقياداتهم التي توصف بذات الصفة، ففي بواكير تاريخ الحركة الصليبية، ظهرت شخصية بطرس الناسك Peter The Hermit[٣٢] الذي وصف كان له دوره البارز خلال ما عرف بالحملة الشعبية [٣٣]أو حملة الأقنان وقد عرف بأنه كان رث الثيابفصيحا ويملك ناصية البيان وامتطي ظهر حمار أعرج وخاطب الآلاف من الجماهير التي حركها تدين عاطفي متعصب ضد كل ما هو غير مسيحي في عصر ساد فيه الفكر الكنسي علي القطاعات المجتمع الاقطاعي في الغرب الأوروبي الوسيط ومنه الأقنان وقد تمكن من التأثير عليهم من خلال شخصيته البالغة التأثير، حتى أنهم كانوا ينتزعون شعارات من جسد حماره للتبرك بها !!، وقد حدث ذلك خلال العصور الوسطي الأوروبية التي اشتهرت بتعاظم الظاهرة الدينية فيها خاصة في وسط قطاعات الأقنان الذين عانوا من تفشي مساوئ النظام الاقطاعي خاصة الفقر والجهل والمرض .

بصفة عامة، يوصف بطرس الناسك بأنه من الدعاة الشعبيين الأساسيين للحرب الصليبية، وكان دوره بارزاً في الحشد الجماهيري لها وهي التي شنها الغرب الأوروبي الكاثوليكي علي الشرق الإسلامي في أخريات القرن ١١م، وعلي الرغم منفشل الحملة الشعبية التي قادها مع غيره إلا انها كانت جزءً من التراث الباكر للحركة الصليبية وكانت حافزاً لقيام حملة الأمراء المنظمة التي تجلت في تحقيق اهدافها.

و هكذا، فإن عنصر الكاريزما كان حاضراً في عصر الحروب الصليبية، وكان له تأثيره العميق علي قطاعات شعبية متسعة، وليس في مقدورنا فهم الاستجابة للدعوة تلك الحروب حينذاك دون دراسة تلك الناحية .

خلص البحث إلي عدة نتائج يمكن إجمالها علي النحو التالي :

أولا: تحتاج دراسة تاريخ الحروب الصليبية التي تعد مرحلة فارقة علي جانب كبير من الأهمية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي إلي الإفادة مناهج البحث في العلوم الأخرى خاصة علمي النفس ؛Psychology وعلم الاجتماع السياسي Political Sociology إذ أن ذلك من شأنه إثراء الدراسة وإدراك العوامل الحقيقية المحركة لتاريخ تلك المرحلة علي ان يكون ذلك دونما قولية أو اعتساف الأحكام أو فرض فكرة مسبقة لا تجد لها سنداً من المصادر التاريخية المعاصرة .

ثانياً : امتلك صلاح الدين الأيوبي شخصية كاريزمية آثرة وملهمة كان لها دورها في انجذاب العديد من الشخصيات التي تعامل معها إليه وقد تأثر المعاصرون به سواءً من المسلمين أو الصليبيين علي حد سواء، وليس في الإمكان كتابة تاريخه بموضوعية دون إدراك ذلك الجانب الذي ترك أثره العميق علي علاقاته السياسية حينذاك مع ادراكنا لأهمية كافة العوامل الأخرى التي ساعدت علي نجاحه في تحقيق الأهداف العليا التي سعى إليها .

ثالثا: ليس الهدف من تسليط الأضواء علي كاريزما صلاح الدين الأيوبي التمحور حول دور الفرد في حركة التاريخ ؛ إذ أن نظرية الرجل العظيم التي نادي بها توماس كارليل Thomas Carlyle ( ١٧٩٥- ١٨٨٥م ) منقبل، لا يمكن الأخذ بها دون إدراك حجم تأثير البطل الآخر في صورة الشعب الذي أفرز أصلاً البطل الفرد، وما التاريخ إلا التفاعل الوثيق بين الجانبين من خلال

وجود هدف واحد يتفانوا جميعاً في سبيل تحقيقه خاصة في عصر له طبيعته الخاصة مثل عصر الحروب الصليبية .

رابعا: من الخطأ البين، تصور ان الجانب الكاريزمي كان قاصراً علي القيادات الإسلامية فقط، بل تعداه لنجده لدى القيادات الصليبية هي الأخرى، ومن أمثلة ذلك بطرس الناسك Peter The Hermit الذي كان له تأثيره الكبير علي قطاعات شعبية عريضة في الغرب الأوروبي عشية قيام المشروع الصليبي ولا يكتب تاريخ حملة الفلاحين دون تناول دوره الذي شاركت في صنعه شخصيته الكاريزمية، وهكذا من الممكن تصوير الأمر علي أن ذلك العصر شهد تأثيرات قيادات كاريزمية لدى الطرفين المتصارعين .

خامسا: أثبت البحث أن تاريخ صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨- ١١٩٣م ) بعد ما زاد علي الثمانية قرون من رحيله، يحمل العديد من الجوانب الثرية بحكم ثراء شخصيته، ثم طبيعة العصر التاريخي ذاته الذي حدثت خلاله المواجهة بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي في العصور الوسطي علي أرض بلاد الشام ومصر وبالتالي لا تزال هناك جوانب عديدة يمكن تسليط الأضواء الكاشفة من خلالها علي دوره التاريخي البارز الذي مهد له قادة الجهاد الإسلامي السابقين مثل شرف الدين مودود، وعماد الدين زنكي، ونور الدين محمود وغيرهم .

سادسا: أكد البحث ضمنياً علي خطورة التمحور حول القائد الفرد ونسبة كافة الإنجازات التاريخية له، لأن حركة التاريخ ما هي إلا التفاعل بين القائد والمجموع البشري وبالتالي فالتاريخ نتاج ما يوصف بفريق العمل [٣٤] الذي توحد من خلال فكرة مشتركة وهدف موحد خاصة في عالم العصور الوسطي وتحديداً عصر الحروب الصليبية حيث واجهت فكرة الجهاد الإسلامي [٣٥] فكرة الحرب المقدسة SacrumBellum لدي الصليبيين .

ذلك عرض عن صلاح الدين الأيوبي باعتباره قائداً كاريزمياً من عصر الحروب الصليبية .

## الهوامش

(١) عن الكاريزما والشخصية الكاريزمية أنظر :
إيهاب بن حسن، الفراسة القيادية، ط. دبي ٢٠٠٩م، أيمن أبو الروس، الفراسة والكاريزما فن الاتصال بدون كلام ،ط. القاهرة ٢٠١١م، ص ٣- ص ١١٣، جاسم يونس ،دور القيادة الكاريزمية فيصنع القرار الإسرائيلي – نموذج بن جوريون، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (٨١) ،ط. ابو ظبي ٢٠٣م، نيفين عبد الخالق، قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فير – دراسة مقارنة، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (٤)، م(١٤) شتاء ١٩٨٦م، فرج عبد القادر وطه شاكر عطية وحسين عبد القادر ومصطفي كامل، موسوعة علم النفس والتحليل النفس، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٦٤٦، محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٢٠ حاشية (١)، نفسه، مشكلات دراسة الحروب الصليبية، ضمن كتاب الحروب الصليبية، السياسة، المياه، العقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠١م ،ص ١١ – ص ١٢، نفسه، أضواء علي إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢، ١٣ م / ٦، ٧هـ، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط ٢م (٣) عام ٢٠٠٣م، ص ٢٦٧، ممدوحة محمد سلامة، الكاريزمية – القدرة علي التأثير علي الآخرين، مجلة علم النفس، العدد (١٤)، إبريل – مايو – يونيو ١٩٩٠م، ص ١٥٨- ص ١٦٤، أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي، ط. بيروت ١٩٨١م، ص ٥٦٩، عبد الله عبد الرحمن، علم الاجتماع التنظيم، ط. الإسكندرية ١٩٨٨م، ص ٢٠٧، ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ت . عادل الهواري وسعيد عبد العزيز مصلوح، ط. الكويت ١٩٩٤م، ص ١٠٢، كيرت موريتنش، قوانين الكاريزما، ط. الرياض ٢٠١٢م، ص ٣ – ص ١٨٦، أولانج، الأسرار الجديدة الكاريزما، ط. الرياض ٢٠١١م،

ص ١- ص ٢٢٨، مجـدي كامـل، ملـوك الكاريزمـا، طـز دمشـق ٢٠١١م، ص ٩- ص ٣٤٩.

The New Ency .Brit., vol.3,U.S.A 2003,p.103.
The Ency . Amer . inter ., vol.6, U.S.A., 296.

(٢)من امثلة دراسات علم الاجتماع السياسي انظر

M.Duverqer , Sociologie Polotique, paris 1968.
T. Botomore , poltical Sociology London 1980.

إسماعيل علي سعد، أصول علم الاجتماع السياسي، ط. بيروت ١٩٨٦م، محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي، ط. القاهرة ١٩٩٧م، فاروق يوسف، دراسات في الاجتماع السياسي ،ط. الزاوية – ليبيا ٢٠٧م، حسان محمد شفيق، الملامح العامة لعلم الاجتماع السياسي ،ط. بغداد ١٩٦٨م، غاستون بوتول، علم الاجتماع السياسي ت، خليل الجسر، ط. بيروت ب- ت. (٣) من أمثلة دراسات الشخصية أنظر :

معتز محمد عبيد، الشخصية السوية وأساليب التعبير عن الذات، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، زهير أحمد الربيدي، إدارة الذات نحو تطوير الشخصية ،ط . عمان ٢٠٠٧م، مدحت أبو النصر، إدارة الذات المفهوم والأهمية والمحاور، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، طارق كمال، أساسيات فيعلم النفس العام، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ١٢٩- ص ١٤٢، سامي الحتاتنة وأحمد عبد اللطيف وجبران الكركي، مبادئ علم النفس، ط. عمان ٢٠١٠م ؛ ص ٢٣٩ – ٢٦٨، رشاد علي عبد العزيز ومديحة منصور، علم النفس بين المفهوم والقياس ،ط . القاهرة ٢٠١١م، ص ٤٤٩- ص ٤٥٣، سامي محمد ملحم، أساسيات علم النفس، عمان ٢٠٠٩م، ص ٢٧٨- ٣٤٦، يحيي الأحمدي، المدخل إلي العلوم النفسية، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١١٥، ص ١٣٥، صالح الداهري، سيكولوجية الإبداع والشخصية،

ط. عمان ٢٠٠٨م ،ص ٢١٩- ص ٣٢٦، احمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، ط . بيروت ١٩٨٣م، جابر عبد الحميد جابر وسليمان الخفري، دراسات نفسية في الشخصية العربية، ط. القاهرة ١٩٧٨م، عبد الحليم السيد، الإبداع والشخصية، ط. القاهرة ١٩٧١م، عادل عز الدين الأشول، سيكولوجية الشخصية، ط. القاهرة ١٩٧٨م، اسامة مرزوق الشيخ، المدخل إلي علم النفس، ط. الرياض ٢٠٨م، ص ١٥٣- ص ١٦٢، ممدوح الكناني وأحمد الكندري وعيسي عبد الله وحسن الموسوي، المدخل إلي علم النفس، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٣٧٣- ٣٩٥.

(٤) في هذا الشأن أنظر هذا البحث :

محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨- ١١٩٣م ) - ببليوغرافية كرزنولوجية (١٩٠٢- ٢٠١٢م )، مجلة بحوث الشرق الأوسط عدد مارس عام ٢٠١٢م .

(٥) نيفين عبد الخالق، قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فير دراسة مقارنة، ص ١٣٦.

(٦) ماكس فير هو ماكسيميليان كارل اميل ويبر بالألمانية Maximilian Carl Emil Weber، ولد في إرنورت بولاية سكسونيا في ٢١ إبريل عام ١٨٦٤م، وتوفي في ميونيخ Munichen في إقليم بافاريا Bavaria في ١٤ يونيو ١٩٢٠م، وهو عالم ألماني بارز في مجالس الاقتصاد والسياسة، ويعد أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وهو اول من قام بتعريف البيروقراطية . ويعد كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية أشهر مؤلفاته، وقد قسم السلطة إلي ثلاثة أشكال في صورة السلطة الملهمة، والسلطة التقليدية والسلطة القانونية . ويكيبيديا ٥/ ٢/ ٢٠١٣م .

عنه أنظر :

J. Freund, Sociologie de Max Webere, Paris1968.

فيليب رانيو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث ت. محمد جديدي ،ط. أبو ظبي ٢٠٠٩م، ص ١٥- ص ٣٤.

(٧)جاسم يونس، دور القيادة الكاريزمية في صنع القرار الإسرائيلي، ص ١٠، محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٠، حاشية (١) .

(٨)فرج عبد القادر طه وشاكر عطيه وحسين عبد القادر ومصطفيكامل، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ص ٦٤٦.

(٩)عن عبد الطيف البغدادي أنظر : ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ب- ت، ص ٦٨٣- ص ٦٩٦، القفطي، إنباه الرواه، تحقيق أبو الفضل، ط. القاهرة ١٩٥٢م .جـ١ ص١٩٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ط. القاهرة ب-ت، جـ٦، ص ٢٧٩، بول غليونجي، عبد اللطيف البغدادي طبيب القرن السادس، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٧- ص ٢٠، عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي ،ط. بغداد ١٩٦٧م، ص ٤٠٩- ص ٤١٠، محمد مؤنس عوض، من اسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٦٩- ص ٨٧، محمد توفيق بليع، عبد اللطيف البغدادي أضواء جديدة علي سيرته ومنهجه التاريخي، عالم الفكر ،م (١٩)، العد (٣)، الكويت ١٩٨٥م، ص ١١٩- ص ١٨٠، محمد كرد علي، كنوز الأجداد ،ط. دمشق ١٩٨٤م، ص ٣٠٠- ص ٣١٦، شفان الدوسكي، الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي (٥٦٥-ص ٦٢٢هـ / ١١٦٩-١٢٢٥م )، ط . دمشق ٢٠١٢م، ص ١٩٣-ص ١٩٤.

(١٠)عن ذلك انظر : ترجمته لدي، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٨٩ أيضاً : سعاد حسين الأصفر "، صلاح الدين الأيوبي كما جاء في ال Novellino "، حوليات كلية الآداب – جامعة عين شمس، م (٢٩) . عام ١٩٩٣م، ص ٥.

(١١)عن بهاء الدين بن شداد أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال ،ط. القاهرة ١٩٦٤م، مقدمة التحقيق، محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة ،ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٥١– ص ٢٥٢، نفسه، قالوا عن صلاح الدين الأيوبي شهادات من الشرق والغرب ،ط. القاهرة ٢٠١٢م، ص – ص، نفسه، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩– ٢٠٠٠م، ص ٣٨١، أحمد أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ،ط. القاهرة ب – ت، ص ١٦٠– ص١٦٢ .

(١٢)عن وليم الصوري أنظر :

R.Hugens, Guilaume de Tyr etudiant: Un Chaptre (XIX,12) de son Histore retrouvé, Latmus, 1962,pp.811-829.

D.W. Vessey ."Willam of Tyre and The art of Historiography" , M.s., 35, 1973.pp.433- 4550.

R.Davis, "William of Tyre",in Relations between East and west in The Middle Ages, ed .Derek Baker, Edinburgh 1973,pp64-76.

M.Hammad," Latin and Muslim Historiography of The Crusades, Comparative study of William of Tyre and izz addin ibn AL Athir ,ph.D., University of Pennsylvania 1987.

.A.Murray,William of Tyre, in The Crusades, An Encyclopedia ,Vol .Iv, Oxford 2006,p.1381-1282.
عمر كمال توفيق، " المؤرخ وليم الصوري "، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، العدد (٢١) عام ١٩٦٧م، ١٨١- ص ٢٠٠، محمد مؤنس عوض، وليم الصوري مؤرخاً للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧- ١١٥٠م، سلسلة دراسات شرق أوسطية، مركز بحوث الشرق الأوسط ،ط. القاهرة ١٩٩٧م، نفسه، النقد الاجتماعي من خلال كتابات وليم الصوري (ت ١١٨٦م ) وأبو شامة المقدسي ( ت ١٢٦٧م ) دراسة في التاريخ المقارن لعصر الحروب الصليبية، ندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور – التاريخ الاجتماعي، اتحاد المؤرخين العرب ،ط. القاهرة٢٠٠٧م، ص ١٧٤- ١٧٥، سرور عبد المنعم، رؤية المؤرخ الصليبي وليم الصوري لصلاح الدين الأيوبي، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (٢٦) عام ٢٠٠٠م، ص ٢٦٤- ٢٩١.بيرل سمايلي، المؤرخون في العصور الوسطي، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص ١٤٦، جمال الدين الشيال، التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة ،ط. بيروت ب- ت، ص ٧٠، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٢٧، عبد الله الربيعي، أثره الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية ،ط. الرياض ١٩٩٤م، ص ٩١، أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٣٢٢، هاري ألمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ت. محمد عبد الرحمن برج ،ط. القاهرة ١٩٨١م نجـ٢، ص ١١١، محمود الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢، ١٣ م، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٣٠، جمال الزنكي، موضوعية المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية،

العدد (٨٥ ) شتاء ٢٠٠٤م السنة (٢٢) ص ٤١- ص ٩٠، محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية ،ط. مؤته ٢٠٠٢م، ص ٣٩ – ص ٤٢، محمد عبد الشافي المغربي، العصور الوسطي الأوروبية رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٣٢ – ص ٣٣،.

(١٣)وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر، ت . سهيل زكار ،ط. دمشق ١٩٩٠م ،جـ٢، ص ٩٣٦. وانظر أيضاً هذا البحث المهم :

سرور عبد المنعم، رؤية المؤرخ الصليبي وليم الصوري لصلاح الدين الأيوبي خلال المرحلة ١١٧١- ١١٨٤م / ٥٦٧- ٥٨٠هـ، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد (٢٦)، عام ٢٠٠٥م، ص ٢٦٤- ص ٢٩١.

(١٤)نظير حسان سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي ،ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص ٥٢- ص ٥٥، محمد مؤنس عوض، معجم اعلام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠١٣م .

(١٥)عن نيكتاس خونياتس أنظر :

Nicetas choniates, O,city of Byzantiun, Annals of Nicetas choniates, Trans .Harry Magolias, Wayne State University, Dettrias, 1984.

D.Nicol ,ABiographical dictionary of The Byzantine Empire, London 1991,pp.22-23.

فايز نجيب إسكندر، نيكتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرة الصليبيين، قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ،ط. المنصورة ب- ت. ص ٥٥- ص ٥٧، عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطي، ط. دمشق ١٩٨٠م، ص ٢٦، محمد

مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٥٨، محمود سعيد عمران، منهج البحث التاريخي ومصادر العصور الوسطي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م ؛ ص ٢٩٦- ص ٣٠٢.

(16)Nicetas Choniates ,p.347

نقلاً عن فايز نجيب إسكندر، نيكتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرية الصليبيين، ص ٦٣.

(١٧) عن اسطورة صلاح الدين أنظر :

M.Jubb,The Legend of Saladin in Western Literature and Historiography ,New York 2000.

S.lane – poole , Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem , Beirut 1964,pp.380- 382.

جزيل الجومرد وناصري جاسم، سيرة صلاح الدين الأيوبي في الدراسات الاستشراقية الناطقة بالإنجليزية، مؤته للبحوث والدراسات، م (١٣)، العدد (٧) فى عام ١٩٩٨م، ص ١١- ص ٣٥، كارول هلنبراته، صلاح الدين تطور أسطورة غربية، ضمن كتاب ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد ،ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص ٩٦- ص ١١٠، حسين عطية، صلاح الدين الأيوبي بين الأسطورة والتاريخ في الكتابات اللاتينية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا م (٢٦)، عدد أكتوبر ١٩٩٧م، ص ٩ — ص ٦٥، هادية دجاني شكيل وبرهان الجاني، صلاح الدين التاريخ والملحمة والأسطورة، ضمن كتاب الصراع الإسلامي الفرنجي في فلسطين في القرون الوسطي، تحرير هادية دجاني شكيل وبرهان الدجاني ،ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٣٢٦- ص ٣٤٠، لويس بوزيه، السلطان صلاح الدين الأيوبي في التراث الفرنسي في العصور الوسطي حتى اليوم، دراسات إسلامية، عدد (٥) عام ١٩٩٤م، ص ٢٤٥، موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، ت . علي السيد علي، المشروع القومي للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١١٣،

محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ص ٢٨٧- ص ٣١٢.

(١٨)عن اليانور أنظر :

A.Kelly, Eleanor of Aquitaine and The Four kings ,Cambridge 1950.

M.Meade, Eleanor of A Aquitaine ,Abiography, London 1978.

زينب عبد القوى، اليانور دوقة أكوتين، مرآة أوروبا القرن الثاني عشر ،ط. القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٣٥- ص ١٣٨، اسمت غنيم، المرأة في الغرب الأوروبي في العصور الوسطي ،ط. الإسكندرية ١٩٨٣م، ص ٣٠- ص ٣١، سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ،ط. بيروت ١٩٩٠م، ص ٢١٣، نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطي ،ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ٨٧، إسماعيل نوري، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ،ط. عمان ٢٠٠٢م، ص ٨١، موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، ت . علي السيد علي، المشروع، معالم التاريخ الأوروبي الوسيط، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٣، ص ٣٠٢-ص ٣٠٣.

(١٩)عن ريتشارد قلب الأسد أنظر :

Richard of Devizes, Crusade of Richard Coeur de lion ,in Chronicles of The Crusades, London 1908.

Geoffrey of vinsauf, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronicles of The Crusades, London 1908.

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans .M.J.Hubert , New York 1943.

زينب عبد القوي الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩- ١٢٩١م، ط. القاهرة محمد مؤنس عوض ١٩٩٦م، ص ١٢٢- ص ١٣٧. محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي – الصليبي معركة أرسوف ١١٩١/ ٥٨٧هـ ،ط. القاهرة

١٩٩٧م، ص ٦ – ص ٤٨، طارق البستاني، المعارك بين المسلمين والصليبيين منذ سقوط عكا حتى صلح الرملة ١١٩١– ١١٩٢م / ٥٨٧– ٥٨٨ هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ٢٠٠٩م، ص ٢٩ – ص ٢٠٩، نظير حسان سعداوي، تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة الوسطي ،ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص ٩٢ –ص ٩٣، اشرف صالح محمد، الدبلوماسية الأيوبية – الصليبية دراسة تاريخية تحليلية ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٥– ص ٣٢، علي رمضان فاضل، سيرة الملك ريتشارد قلب الأسد فارس أوروبا الول، ط. الجيزة ٢٠١١م، ط. دمشق ٢٠١١م، ص ١٤، ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي من ذهنية الإلغاء إلي ذهنية التحريم ت. سعيد أبو الحسن .

(٢١) منذر الحايك ،ط. دمشق ٢٠١٢م، ص ١١ العصر الأيوبي، ص ١٣ .

(22)E.Ashtor ," Saladin and The Jews ,H.u.c.A.,XX VII,1950,p.305.

(٢٣) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق أحمد أيبش ،ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ٤٢٢.

(٢٤) أنظر : ترجمته لدي ابن أبي أصبيعة ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٦٨٨.

(٢٥) توماس أرنولد، الدعوة إلي الإسلام، ت . حسن إبراهيم وزميلاه، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ١١١.

(26)Chronicle of The Third Crusade, atranslation of The Itinerarium peregrinorium et Gesta Regis Ricardi, Trans Helen Nicholson, London 1997, p.132.

(٢٧) عنها أنظر : محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي فارس عصر الحروب الصليبية ،ط. القدس ٢٠١٣م .

(٢٨) عن ابن عنين أنظر :

ابن عنين، ديوانه، تحقيق خليل مردم، ط. دمشق ١٩٤٣م، مقدمة التحقيق، جمال الدين الشيال، " ابن عنين ٥٤٩- ٦٣٠هـ الشاعر الوحيد الذي هجا البطل صلاح الدين الأيوبي، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، ط. بيروت ١٩٦٤م، ص ٦٣- ص ٧٢، محمد ياسين الحموي، شاعر دمشق ابن عنين، ط. دمشق ١٩٥٢م، محمد زغلول سلام، الأدب في عصر صلاح الدين الأيوبي ،ط. الإسكندرية ب- ت، ص ٣٤٠ – ٣٤٩، شفان الدوسكي، الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي (٥٦٥- ٦٢٢هـ / ١١٦٩- ١٢٢٥م ) ،ط. دمشق ٢٠١٢م، ص ١٨٩- ص ١٩٠، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ت رمضان عبد التواب، ط. القاهرة ١٩٧٥م ،جـ ٥، ص ٦٥، سيد كيلاني الحروب الصليبية واثرها في الأدب العربي في مصر والشام ،ط. القاهرة ١٩٤٩م ن ٣١٨، عمر موسي باشا، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ط. دمشق ١٩٨٩م، ص ٣٤٥ .

(٢٩) عن ذلك البيت أنظر :

ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٩٣م ،جـ ٤، ص ١٥٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية ،ط. القاهرة ١٩٩٦م، جـ١٣، ص ١٨٢- ص ١٨٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٩٣.

(٣٠) أحمد أحمد بدوي، صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه، المكتبة الثقافية ،ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٣٩.

(٣١)عن العماد الأصفهاني أنظر :

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٤٨م ،جـ٤، ص ٥٣٢، البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢- ص ٧، محمد بهجة الأثري، كاتب الدولتين النورية والصلاحية، مجلة المجمع العلمي العراقي، م (٤) ،جـ(١) عام ١٩٥٩م، ص

١٦ نظير حسان سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي ،ط . القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٩- ص ٢٨، محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٤٠، احمد أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ،ط. القاهرة ب- ت، ص ٢٧١- ص ٢٧٢، حسين عاصي، العماد الأصفهاني عصره سيرته حياته، مؤلفاته ،ط. بيروت ١٩٩٣م، حسن العطوي، الاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية ،ط. الرياض ١٩٩٥م، ص ٦٦.

D.S Richards , Imad al- Din al- Isfahani administrator , literateur and Historian ," in Crusade and Muslims in The Twelfth- Century Syria,ed. Schatzmiller d.), Leiden 1993, pp.133-146.

(٣٢) عن بطرس الناسك أنظر :

Raymond d,Aguilres, Historia Francorum qui ceperunt Iher usalem ,Trans

John Hugh Hill and Laurito L.Hill , The American Philosophical Society, Philadelphia 1968,p-27, p-60,p,610

Anna Comnena, in peteres, The First Crusade , The Chronicle of Fulcher of Chartres and other source Materials, Philadelphia 1971,p. 112- 114.

Fulcher of Chartres, A history of The Expedition to Jerusalem, Trans. Frances Rita Rian, Tennesse 1969, p.48,p.49,p.51.

Y. le Fabre , pierre l, et la Croisade , Amiens 1946.

فايز نجيب إسكندر، بطرس الناسك والحملة الشعبية عام ١٠٩٦م، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ،ط. المنصورة ب- ت، ص ٥- ص ١٤، جوناثان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولي وفكرة

الحروب الصليبية، ت . محمد فتحي الشاعر ،ط. القاهرة ١٩٩م، ص ٦٤- ص ٦٧، محمد الزيلعي، الطائفة الكاثوليكية وأثرها علي العالم الإسلامي ،ط. الرياض ١٤٣١هـ، ص ٢٠١- ص ٢٠٢، اندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٥٨.

(٣٣) عن الحملة الشعبية أنظر :

Fulcher Eidelburg, of Chartres ,pp.48-49, pp72-73
The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The Firt and second Crusades, Trans shlomo Madicon 1977.

محمود كامل، الحملات الصليبية الشعبية ودورها في تاريخ الحركة الصليبية ١٢ إبريل ١٠٩٦- ٢ أكتوبر ١٠٩٦م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة أسيوط عام ٢٠٠٩م، ( تحت إشرافي )، جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولي ،ط. الإسكندرية ١٩٨٣م ،ص ١٤١- ص ١٧٠، محمد نصر عبد الرحمن، العلاقات بين الشرق والغرب، اضواء علي تاريخ الحملات الصليبية ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٥٨- ص ٦٨، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ،ط. القاهرة ١٩٩٩-، ٢٠٠٠ م ؛ ص ٧٠ – ص ٧٢، ميخائيل زابوروف، السيف والصليب، ت . هاشم حمادي، ط. دمشق ٢٠٠٦م، ص ٣٥- ص ٣٦.

(٣٤) من المهم للقارئ العودة إلي هذا الكتاب .

C.B .Dygert, Success is ateam effort, New York 2007.

وانظر الترجمة العربية :

تشارلز ب.دايفرت، النجاح جهد جماعي، ت . سعيد محمد الأسعد ،ط. دبي ٢٠١١م، ص ٢٥- ص ١١٠.

(٣٥) عن فكرة الجهاد الإسلامي أنظر :
السلمي كتاب الجهاد، تحقيق سهيل زكار، ضمن كتاب أربعة كتب في الجهاد من عصر الحروب الصليبية ،ط. دمشق ٢٠٠٦م، ص ٤١- ص ١٨٢ محمد أبو زهرة، نظرة الحرب في الإسلام، ط. القاهرة ١٩٦٣م، محمد مؤنس عوض، فكرة الجهاد الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطي، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٢٠٦- ص ٢٧٩.

(٣٦)عن فكرة الحرب المقدسة في المسيحية أنظر :
J.Brundage ,The Holy war , Ohio1977.
قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٧، نفسه، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، ط. القاهرة١٩٨٢م، ص ٨، محمد مؤنس عوض، تاريخ الحروب الصليبية، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ( القرنين ٧١٦هـ / ١٢، ١٣م، ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص ٢٧- ص ٣٠.

# ناقد وصلاح الدين

# (١١٧١- ١١٩٣م)

# اتهامات وردود

# ناقد وصلاح الدين
# (١١٧١- ١١٩٣م)
## اتهامات وردود

يتناول هذا البحث أبرز الاتهامات التي وجهت لصلاح الدين من جانب المؤرخين المعاصرين أو المحدثين عرباً أو غربيين، ويحاول قدر المستطاع الرد عليها من خلال منطق التاريخ دون افتعال أو تعمد الدفاع دون حج منطقية مقنعة وليس الهدف من هذا البحث تنزيه ذلك السلطان من كل نقص، إذ أن ذلك يتنافى مع طبيعة حركة التاريخ ذاتها، فالبشر عموماً يصيبون ويخطئون خاصة قادتهم، لكن علينا أن نذكر الإيجابيات عندما تحدث، ولا نترصد السلبيات اشياعاً لرغبات أبعد ما تكون عن الروح العلمية الموضوعية الواجبة والملزمة .

وفيما يلي أبرز الاتهامات والردود عليها :

أولا: الاتهام بالتآمر من أجل إسقاط الدولة الفاطمية (٩٦٩- ١١٧١م ) من خلال التحالف بين العباسيين والدولة النوري وهو أمر تم عام ١١٧١م استغلالاً لمنصبه كوزير تفويض من جانب العاضد الفاطمي وللرد علي ذلك نورد الآتي :

١- إن الدولة الفاطمية لم تكن جديراً بالاستمرار تاريخياً في عصر شهد تغييرات دولية غير مسبوقة إذ ظلت في حالة بيات شتوي والعالم من حولها تغير — ولا أدل علي ذلك حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطي وأعني بها الحروب الصليبية .

وهي تعيش في الماضي، وبالتالي عجزت عن التكيف مع الظروف الدولية الجديدة وانتحرت ذاتياً .

لقد وصلت تلك الدولة إلي أدني درجة كبيرة من درجات الضعف السياسي والعسكري والاقتصادي علي نحو أكد بموضوعية أنها سقطت من الداخل قبل أن

تسقط من الخارج، وبالتالي فإن صلاح الدين الأيوبي أطلق ما نصه في زماننا برصاصة الرحمة علي كيان طال احتضاره .

٢- الدولة الفاطمية يحيطها عدد من علامات الاستفهام فيما يتصل بتحالفها المبكر مع الصليبيين خلال حصارهم أنطاكية ١٠٩٧- ١٠٩٨م عرض الفاطميين عليهم التحالف معهم ضد العدو المشترك في صورة الأتراك السلاجقة علي أن تكون شمالي بلاد الشام للغزاة الأوروبيين الجدد ونصفه الجنوبي للفواطم، وقد تأكدت تلك الواقعة – التي يحلو للبعض إنكارها – من خلال المصادر الصليبية ذاتها، وكذلك ألمح لها المؤرخ العراقي البارز ابن الأثير في كتابه الكامل [١] .

الأمر المؤكد أن الدولة الفاطمية كانت حريصة علي صراعها مع القوى السنية العباسية والسلجوقية أكثر من حرصها علي فهم طبيعة الحركة الصليبية العدوانية التي أرادت بناء مجدها علي حساب كافة قوى المنطقة شيعية وسنية علي حد سواء، ثم جاءت الهزائم تتوالي في صورة معارك الرملة الثلاثة (١١٠١- ١١٠٢م، ١١٠٥م [٢]، ومعها تساقط المدن الشامية الساحلية مثل عكا- جوهرة الساحل الشامي التجارية – عام ١١٠٤م [٣] وبيروت عام ١١١٠م [٤]، وصيدا عام ١١١١م [٥]، ثم صور عام ١١٢٤م [٦]، و" اكتملت المأساة " بإسقاط عسقلان عام ١١٥٣م[٧] فأصبح الساحل الشامي بأجمعه في قبضة الغزاة!!. وعلق المقريزي شيخ مؤرخي مصر الإسلامية علي ذلك قائلاً : " أخذ الفرنج عسقلان واستولوا عليها، وظهر الوهن والخلل في الدولة [٨]، وهو قول يعني، وهو قول يعني ذلك الوهن كان ينخر في الجسد الفاطمي وأتي أمر الهزيمة العسكرية بإسقاط آخر المعاقل الفاطمية في بلاد الشام ليظهر – جلياً امام الجميع !! .

يتأكد لنا بالتالي مدى العجز الفاطمي الواضح الفاضح عن مواجهة الغزو الصليبي، وبالتالي كان إسقاط تلك الدولة أمراً يحتمه منطق التاريخ، وهكذا فإن

التباكي عليها كما فعل الشاعر عمارة اليمني (ت ١١٧٤م ) يعد نوعاً من النوستالجيا التي لا تقدم ولا تؤخر بل تزيف الحقائق .

٣- قاد المؤرخون المتعاطفون مع الدولة الفاطمية أمر الهجوم علي صلاح الدين الأيوبي [٩]، ولا نغفل الميول الشيعية لقطاع منهم وبالتالي نظروا للقضية من زاوية مصلحة الإسلام العليا التي كانت تقضي بضرورة ضخ دماء جديدة في جسد حركة الجهاد الإسلامي لمواجهة الصليبيين وقد أكدت الأيام ان إسقاط تلك الدولة كان عام ١١٧١م ،و من بعد ذلك ب(١٦) عاماً فقط، كان إسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية عقب كارثة حطين عام ١١٨٧مما دل بجلاء علي أن الطريق إلي تحرير بيت المقدس بدأ من تحرير القاهرة من السيادة الفاطمية ثم توحيد ها مع شقيقتها الجغرافية والتاريخية دمشق عام ١١٧٤م وصولاً إلي عام ١١٨٧م بإنجازاته الرائعة غير المسبوقة في تاريخ الصراع الإسلامي – الصليبي .

ثانيا : الاتهام بأن معركة حطين عام ١١٨٧م، كانت مجرد ضربة حظ ولا تدل علي براعة عسكرية وان تحالف صلاح الدين الأيوبي مع رايموند الثالث Raymond III والاتفاق معه علي الانسحاب من صفوف الصليبيين أثناءها كان العامل الرئيسي للانتصار .

و يمكننا الرد علي ذلك من خلال الآتي :

١- تعد معركة حطين – علي نحو خاص – النموذج الأمثل للمعارك الحاسمة عصر الحروب الصليبية، فقد أدت إلي تدمير الجيش الصليبي الذي كان أكبر جيش أمكن للغزاة حشده منذ أن قدموا إلي بلاد الشام منذ اخريات القرن ١١م، وقد نتج عنها أيضاً إسقاط القلاع الحصينة Crusader Castles التي لم تجد من يدافع عنها إلا القليل من المدافعين، وكانت النتيجة الباهرة الأخرى هي تحرير القدس عام ١١٨٧م، وما كاد لذلك كله أن يحدث من خلال " ضربة حظ " التي توهمها قطاع

من المستشرقين الذين ساءهم أن ينتصر الإسلام وابناؤه علي ذلك النحو !!، وقد تم الإعداد ليوم حطين علي مدى الأعوام من ١١٧١- عندما تم اسقاط الدولة الفاطمية حتى عام ١١٨٧م، وهكذا فإن يوماً واحداً استغرق الإعداد له نحو (١٦) عاماً من العمل العسكري والسياسي الشاق المضنى .

٢- كان صلاح الدين الأيوبي سياسياً بارعاً عندما تحالف مع صاحب طرابلس رايموند الثالث مستغلاً في ذلك الخلافات والصراعات الصليبية – الصليبية، مع ملاحظة أن انسحاب ذلك القائد الصليبي وقواته كان جزءً يسيراً من منظومة الإعداد لحطين ولم يكن مفتاح الانتصار !! .

و لا ننسي دوماً ان الحرب خدعة، وعندما تمكن ذلك السلطان من شق صفوف الصليبيين فإن ذلك دل علي نجاحهو بعد نظره !!.

٣-إن استدراج الصليبيين ونقلهم من موقعهم الأصلي في عين صفورية إلي حطين، يدل علي دهاء وحنكة وحصافة السلطان المذكور، ثم استخدام سلاح التعطيش ومنع الغزاة من الوصول إلي بحيرة طبرية، كذلك هناك الفصل بين الفرسان الصليبيين ومشاتهم، ثم استغلال الانتصار خلال المرحلة من ٤ يوليو إلي ٢ أكتوبر ١١٨٧م من أجل الإسراع بالإجهاز علي الكيان الصليبي الذي كان يترنح علي إثر تلك الضربة القاصمة، كل ذلك يدل بجلاء علي التخطيط والاعداد علي مدى أعوام طويلة مجهدة متهالكة وبراعة التنفيذ من جانب قائد وجيش تعطش كل منها لتحرير بيت المقدس من أيدي الغزاة الصليبيين .

٤- يتم تدريس معركة حطين في كليات الحرب في العالم علي اعتبار أنها نموذج حقيقي للمعارك الحاسمة عن عالم العصور الوسطي، ولا يخلو كتاب عن التاريخ الحربي حينذاك من تناولها بالشرح والتحليل والبحث في الدروس المستفادة منها ولا ريب في أنها مثلت حصاد خبرة حربية إسلامية منذ قرون مضت .

ثالثا: الاتهام الخاص بعقد صلح الرملة في ٢ سبتمبر ١١٩٢م[١٠] مع الملك ريتشارد قلب الأسد Richard Lion heared (١١٨٩- ١١٩٩م ) الذي بمقتضاه منح الصليبيين المنطقة الواقعة بين يافا وصور .

و للرد علي من هاجمه بشان توقيع الصلح المذكور نورد الآتي :

١-كانت مدة الصلح (٣) سنوات و(٣) شهور و(٣) أيام وهي مدة قصيرة لن تؤدي إلي ترهل الجيش الأيوبي وقد كان قرأ شد الحاجة إلي تلك الهدنة بعد أن أجهد في معارك طاحنة علي مدى الأعوام من ١١٨٧حتى ١١٩٢م مروراً بحطين وحصار عكا (١١٨٩- ١١٩١م) الذي يعد أطول معركة في تاريخ الحروب الصليبية في بلاد الشام علي مدى القرنين ١٢، ١٣م وكلف الدولة الأيوبية رجالاً ومالاً وزمناً وجهداً علي نحو غير مسبوق .

٢- يلاحظ أن المؤرخين الذين تستهويهم المعارك الحربية نظروا إلي صلح الرملة من جانب قائد المسلمين لانتصار حطين الحاسم، بنوع من الرفض والعداء، لذلك علينا النظر بموضوعية للأمر، إذ أن الجيش الأيوبي افتقد الآلاف من عناصره بين شهيد وجريح ويكفي الإشارة إلي مذبحة تل العياضية التي أقدم عليها ريتشارد قلب الأسد حيث فتك في يوم واحد ب (٣٠٠٠) [١١] من أبطال عكا وبالتالي فإن الاستمرار في الحرب كان يعني الانتحار العسكري دون جدوي، وكانت الحكمة السياسية التي عُرف بها ذلك السلطان تدعوه بشدة لعدم المكابرة والقبول بالصلح المذكور حقنا لمزيد من الدماء دونما طائل خاصة ان الحرب ضد الصليبيين لم تحسم الصراع .

٣- لم يفرط صلاح الدين الأيوبي، وهو المهزوم عسكرياً في عكا وفي أرسوف – ولم يفرط في بيت المقدس ولم يقدمها علي طبق من ذهب لريتشارد قلب الأسد

الذي عاد إلي بلاده صفر اليدين خائباً دون المدينة المقدسة ولذلك اعتبرت حملته فاشلة لأنها لم تحقق هدفها الأصلي المعلن باستعادتها من أيدي المسلمين .

وهكذا يمكنني – بموضوعية – وصف صلح الرملة بأنه وسام علي صدر صلاح الدين الأيوبي بطل الجهاد ضد الصليبيين وبطل السلام من خلال الدبلوماسية البارعة التي فرضت إرادة المسلمين علي الصليبيين علي الرغم من تفوق الأخرين عسكرياً – وقد تمكن بمهارة ومعه مستشاروه من استغلال عنصر الزمن لصالحه ودافع عن بيت المقدس إلي أن أضحي حصول الصليبيين عليها سراباً واهماً !! وبالتالي لم تكسر إرادته علي الرغم من أنه هُزم عسكرياً، وتمكن في النهاية من توقيع ذلك الصلح المشرف .

٤- كان الواقع الاقتصادي للدولة الأيوبية حينذاك يحتم علي تلك القيادة طرق بوابة الدبلوماسية من أجل صلح يحفظ الحقوق، ويقدم للصليبيين بعض المواقع التي حدث بشأنها صراع طويل مرير، ويلاحظ هنا أن اقتصاد تلك الدولة علي مدى أعوام عديدة كان موظفاً للحرب علي نحو أنهكها خاصة أنها واجهت قوى أوروبية عتيدة مثل فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا، والمدن الإيطالية، فلا عجب والحال كذلك أن وجدنا الأيوبيين يعانون من أزمة مالية حادة عقب وفاة صلاح الدين الأيوبي ومما زادها كوارث طبيعية مثل انخفاض منسوب نهر النيل والزلازل .

و هكذا، فإن الصلح المذكور أملته دواعٍ عسكرية وسياسية واقتصادية لا مفر من الإقرار بها وتصور الأمر دون تلك الخلفيات يجعل رؤيتنا له منقوصة مبتورة لا تنشد الحقيقة التاريخية، ولا نغفل هنا في معرض تقيمنا للأمور ملاحظة أن السلطان الأيوبي كان دوماً واقعياً وقراره العسكري والسياسي من خلال مشورة جماعية .

٥- المواقع التي يزعم البعض أن صلاح الدين الأيوبي فرط فيها وقدمها للصليبيين هي صور، ولم يتمكن الجيش الأيوبي من الاستيلاء عليها، وبالتالي كان

منطقياً أن ينهض الصلح علي بقائها في أيدي الغزاة، أما عكا ؛ فقد استردها الصليبيون بعد حرب طاحنة امتدت علي مدى عامين كاملين (١١٨٩- ١١٩١م ) وكانت ذات أهمية اقتصادية بالغة حيث امتلكت ميناءً صالحاً لرسو السفن طوال العام واعتبرت منفذاً لتجارة الشام، وعُدت العاصمة التجارية للصليبيين ومن بعد سقوط بيت المقدس، غدت أملهم العريض !!، لذلك نص الصلح علي ان تظل تحت السيادة الصليبية وهو أمر منطقي ومتوقع تماماً .

تجدر الإشارة إلي أن السلطان الأيوبي جعل مثل تلك المناطق الساحلية للغزاة، إلا أنه احتفظ بالمناطق الداخلية الجبلية المرتفعة حتى يتمتع جيشه بمميزات عسكرية مبادرة تتفوق علي الصليبيين، ثم أنه عندما جعل تلك المناطق في يدهم أراد رجوع الجيوش الصليبية القادمة من الغرب الأوروبي ويبقي في الساحة لمواجهته الصليبيين المحليين وهؤلاء من الممكن مواجهتهم بدون الدعم الغربي الضخم بشرياً ومالياً ومعنوياً .

٦- إن التوصل إلي صلح الرملة لم يكن بالأمر اليسير الهين، إذ نتج عن معارك طاحنة بين الجانبين، كذلك امتدت المفاوضات بين الأيوبية والصليبية علي مدى عام كامل وكان المهندس الفعلي له هو العادل الأيوبي الذي كان صلاح الدين يقدر له مشورته وحكمته السياسية وخبرته الدبلوماسية .

هكذا، ندرك ان الصلح المذكور كان تتويجاً لصراع عسكري طاحن، أثبت فيه السلطان الأيوبي براعته الحربية وقدرته التفاوضية وقراره الجماعي من خلال كوكبة من المستشارين الذين كانوا يهدفون إلي الصالح العام دون مصالح شخصية ضيقة الأفق .

٧- لا نغفل زاوية علي جانب كبير من الأهمية تتمثل في أن صلاح الدين الأيوبي كان لا يخشي حدوث تمرد في قواته التي استهلكت علي مدى عدة أعوام ودفع فيها جيشه ثمناً باهظاً، وهكذا فإن صلح الرملة جاء إنقاذاً لباقي قواته التي

ملت وضجرت من طول الرحب، ويمكننا ملاحظة ذلك من خلال الفرجة العارمة التي حلت فيها بعد أن تم الاعلان عن التوصل إلي الاتفاق المذكور بل أن الصليبيين أنفسهم – وقد أجهدوا هم أيضاً من طول الصراع الحربي – عمتهم الفرحة بعد أن تم التوصل إلي حقن الدماء بين الطرفين .

وهكذا يتأكد لنا من وقائع الأحداث حينذاك أن الاتجاه إلي عقد صلح الرملة كان أمراً املته دوافع عديدة ولم يكن اندفاعاً او تفريطاً في حقوق كما تصور البعض وعبر – في مجمله – عن حكمة ذلك السلطان .

رابعا: – المسؤولية عن فشل حصار مدينة صور.

اتهم المؤرخ العراقي البارز ابن الأثير (ت ١٢٣٢م) – ذو الميول الزنكية الواضحة التي لم ينكرها وكتاب الباهر خير دليل – اتهم صلاح الدين الأيوبي بأنه مسؤول عن فشل حصار تلك المدينة اللبنانية الحصينة بعد ان تساهل في إطلاق سراح الصليبيين بأعداد كبيرة في اعقاب فتح بيت المقدس في ٢ اكتوبر ١١٨٧م، وقد تجمعوا هناك وطلبوا مساعدة الغرب الأوروبي، وعندما اتجه الجيش الأيوبي إلي حصارها واسقاطها عجز عن ذلك، ويقرر ذلك المؤرخ أن بداية الوهن كانت في قضية صور (١٢).

وقد ذكر ما نصه : لم يكن لأحد ذنب في أمرها غير صلاح الدين، فإنه هو جهز إليها جنود الفرنج، وأمدها بالرجال والأموال من أهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك، كان يعطيهم الأمان ويرسلهم إلي صور فصار فيها فرسان الفرنج بالساحل بأموالهم واموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط. بيروت ١٩٨٧م، جـ١٠، ص ١٦٠ –١٦٠ .

ومن الممكن الرد علي الاتهام المذكور من خلال العناصر التالي:

١- تمتعت مدينة صور بحصانة طبيعية وزادت بحصانة صناعية واشتهرت بذلك منذ عهد الإسكندر الكبير Alexander The Great وهو أمر ليس في الإمكان تجنبه عند تقييمنا للأمور .

٢- اختزال الأمر في فشل الاستيلاء علي مدينة لبنانية كصيدا أمر يجافي الحقيقة التاريخية إذ أن العديد من المدن الصليبية تساقطت في قبضة الجيش الأيوبي الباسل، ولم يبق من مملكة الصليبيين سوى مدينة انطاكية ومدن طرابلس، وحصن الأكراد، والمرقب، وصور وبالتالي ؛ فإن صور مثلت استثناءً عسكرياً وسط نجاحات عسكرية غير مسبوقة في تاريخ حركة الجهاد الإسلامي منذ مطلع القرن ١٢م لا ينكرها المؤرخ المنصف الموضوعي .

٣- كان الصليبيون في الغرب الأوروبي سيأتون إلي المنطقة انقاذاً لبقايا مملكة بيت المقدس الصليبية من خلال الحلف الدفاعي الاستراتيجي الذي تزعمته فرنسا ومنافستها التقليدية إنجلترا ومن بعد ذلك المانيا، وبالتالي ففي حالة إخضاع صور للسيادة الأوروبية فإن ذلك ما كان له تغيير قواعد اللعبة السياسية حينذاك .

٤- لا نغفل الظروف الجوية ؛ إذ ان الشتاء القارص جعل من استمرار حصار تلك المدينة أمر عبثي، خاصة أن هناك مهام عسكرية ملحة وعاجلة كان علي الجيش الأيوبي إنجازها خاصة أنه كان في سباق محموم مع الزمن من أجل فرض واقع جيوبولوتيكي جديد علي أرض بلاد الشام استغلالاً لانهيار مملكة بيت المقدس الصليبية وهكذا فإن الشواهد التاريخية تدل علي أن استمرار حصار صور من أجل اسقاطها كان نوعاً من العبث الذي لا طائل من ورائه من خلال كافة الظروف التي واكبت ذلك .

٥- عندما أطلق صلاح الدين الأيوبي سراح العديد من الصليبيين ما كان ذلك تهاوناً منه بل أراد فتح صفحة جديدة في العلاقات بين المسلمين والصليبيين،

ويلاحظ انه أخذ المواثيق المغلظة من رؤسائهم بألا يعودوا إلي قتله مرة أخرى، وعلينا ألا نلصق كل اتهام بالرجل الذي قاد جيشه إلي انتصارات لا تزال تدرس في كليات الحرب في العالم، ولا نغفل أن ذلك المسلك جعله يقدرونه وتكونت معه أسطورته الخالدة في نفوسهم !! .

٦- ترصد ابن الأثير لصلاح الدين الأيوبي تحركاته وحاول النيل منه بكل وسيلة، وكان في هذا الشأن صاحب الميول الزنكية التي ما اخفاها وحول أمر صور إلي قضية أخذت حجماً أكبر من واقعها التاريخي وذلك مع تقديرنا التام لمكانته كمؤرخ بارز ألف الكامل، والباهر، واسد الغابة، وهذب الأنساب .

ثانيا – الاتهام بالدموية من خلال أمره بإعدام نحو مائتين [١٣] من فرسان الاسبتارية HospitallersTemlars و الداوية الصليبيين في أعقاب معركة حطين الحاسمة في ٤ يوليو ١١٨٧م .

لقد اتجه قطاع من الباحثين الغربيين إلي أتهام السلطان الأيوبي بالدموية والقسوة وللرد علي ذلك الاتهام يمكن إيراد الآتي :

١- العناصر الصليبية المذكورة وصفت بأنها "جمرة الافرنج "، وكانت أكثر عناصر الجيش الصليبي عداءً وفتكاً بالمسلمين، ولا نغفل ان منها من شارك في حملة أرناط الغادرة علي الحجاز عام ١١٨٣م .

٢- لم يكن هناك عادة افتداء مثل تلك العناصر الصليبية المتطرفة في قتال المسلمين والتي شاركت عشرات المعارك علي مدى القرن١٢م حتى ذلك الحين ومن بعد ذلك في حالة إطلاق صلاح الدين الأيوبي، لعادوا لقتاله بضراوة أشد وهو أمر اتضح لنا مع باقي عناصر الصليبيين الذين نكثوا العهود وتجربة ما بعد فتح بيت المقدس خير برهان .

٣- هناك قطاع من الباحثين الغربيين تغاضوا عن مذابح الصليبيين ضد المسلمين راح ضحيتها الآلاف من المسلمين كما حدث علي يد ريتشارد قلب الأسد في تل العرضانية عام ١١٩١م وتباكوا علي مائتي فارس صليبي متعصب ضد الإسلام وأهله، مما دل علي الكيل بمكيالين وتعصب ذلك القطاع من المؤرخين الغربيين الذين ساءهم انبهار الصليبيين أنفسهم بفارس الإسلام النبيل فحاولوا النيل منه بكل وسيلة ممكنة دون جدوى !!.

سادسا: الاتهام بأنه قسم ملكه بين أبنائه علي نحو ساعد علي الانقسام في البيت الأيوبي والواقع أن ذلك الاتهام يمكن الرد عليه من خلال ملاحظة الآتي أن علينا إدراك أن صلاح الدين كوالد غلبت عليه روح الأبوة، ولذلك أعطي لابنه الأفضل [١٤] النصيب الأوفر في اقتسام دولته، علي الرغم من أن الأيام اكدت عدم كفاءته وقدرته علي تحمل تلك المسؤوليات الجسيمة، وحسم الأمر فيما بعد لصالح العادل أبو بكر [١٥] شقيق صلاح الدين الذي عرفت عنه الحكمة والحنكة والدهاء السياسي .

هكذا، فإن حركة التاريخ ذاتها صححت الأمر تلقائياً بعد أن أكدت وقائعه عدم جدارة ابنه بذلك المنصب .

سابعاً: الاتهام بالمسؤولية عن قتل شيخ الاشراق الفيلسوف شهاب الدين السهروردي [١٦] عام ١١٩١م بحلب، علي نحو أدي إلي اصابة الفلسفة في الشرق في مقتل .

والرد علي ذلك الاتهام نورد التالي :

١- اعتنق شهاب الدين السهروردي أفكاراً تأثرت بعقائد الفرس القديمة، كذلك كان هناك التأثير الشيعي واضحاً في فكره من خلال اعتقاده بأن النبوة انتهت إلا أن الولاية مستمرة وفق التصور الشيعي بطبيعة الحال .

٢- دخل ذلك الفيلسوف في مناظرة مع كبار الفقهاء الذين كفروه، ولم يكن يستطيع السلطان الأيوبي المذكور معارضتهم وهم الذين لهم السطوة الكبرى علي عامة الناس في عصر المواجهة مع الغزاة الصليبيين .

٣- حدثت تلك الحادثة في وقت متأزم في صورة حصار الصليبيين لمدينة عكا الفلسطينية (١١٨٩- ١١٩١م ) وكان صلاح الدين يخشي تداعيات وتأثير السهروردي في زعزعة استقرار البلاد خاصة حلب حاضرة شمالي بلاد الشام المزدهرة تجارياً لوقوعها علي طريق الحرير الدولي وذات الصلة الاستراتيجية بين دمشق عاصمة بلاد الشام التاريخية العتيدة والموصل حاضرة شمالي العراق المزدهرة وبالتالي لا نفصل الأمر عن جغرافية حلب ذاتها – القول بأن اعدام السهروردي أدي إلي اصابة الفلسفة في المشرق في مقتل، امر مردود ؛إذ أن النشاط الفلسفي انحسر منذ أوائل القرن ١٢م من خلال تأثير أبي حامد الغزالي [١٧] (ت ١١١١ ) مؤلف كتاب تهافت الفلاسفة، وبالتالي لم يكن صلاح الدين الأيوبي بذلك الاجراء مسؤولاً عن ذلك الأمر، وهكذا، فمن غير المنطقي أن ينسب كل سوء لذلك السلطان ظلماً وعدواناً .!!

يلاحظ أن قطاعاً من الباحثين الغربيين مثل المستشرق الفرنسي البارز في مجال التصوف هنري كوربان Henri - Corbin سعي للتباكي علي السهروردي واتهام السلطان الأيوبي بأنه ارتكب جريمة كبرى ضد حرية الفكر !!مع ملاحظة أن المصطلح الأخير كثيراً ما استخدم من جانب الغرب عندما كان يريد تحقيق مصالحة في النيل من رموز الإسلام من اجل النيل من ذلك الدين واظهار المسلمين فإن تاريخهم طابعه الغالب دموي، مغفلين فضائح وفظائع محاكم التفتيش I,aquisitions في الأندلس، ومرة أخرى تظهر لنا فكرة ازدواجية الرؤية لدي

الفكر الغربي المتمثل في كتابات المستشرقين الذين لم ينسوا ثاراتهم وهم يكتبون كتابات توصف بأنها كتابات توصف بأنها أكاديمية !!.

ثامناً : الاتهام بعدم الوفاء لسيده نور الدين محمود، وأنه من بعد وفاته عام ١١٧٤م؛ هاجم أملاكه وضمها إليه، بل تزوج أرملته ذيب عصمت الدين خاتون.

و للرد علي ذلك يمكننا إيراد الآتي :

١- لم يكن صلاح الدين الأيوبي ناكراً لفضل نور الدين محمود، ثم ان توسعه علي حساب أملاك الأخير أمر حتمته الظروف السياسية حينذاك، ففي عام ١١٧٤م لم يترك نور الدين سوى صبي صغير هو الصالح إسماعيل الذي كان صغيراً والأحداث كبار، ولم يكن من الممكن لصلاح الدين أن يترك دمشق – الشقيقة الجغرافية والتاريخية للقاهرة – دون أن يضمها إلي أملاكه، لأن هناك الخطر الداخلي قائم من خلال الانقسام والتشرذم السياسي، كأن مملكة بيت المقدس الصليبية كانت ترقب الأحداث عن كثب وكانت تتمني أن يظل المسلمون حينذاك يتعاملون مع الخطر الصليبي الداهم كجزر متناثرة منعزلة وبالتالي تستمر تلك الظاهرة التي أدت في الأصل إلي نجاح الغزاة الغربيين في زرع كياناتهم علي حساب المسلمين منذ أخريات القرن الحادي عشر م، أما الآن فلم يكن في الامكان إعادة عقارب الساعة إلي الوراء !!.

إن المتأمل لفكرة الشامصر Syro-Egypt وهي تعني الرابطة الجغرافية والتاريخية بين بلاد الشام ومصر عبر حقب التاريخية قديماً ووسيطاً وحديثاً ؛ يدرك تماماً أن توسع صلاح الدين صوب دمشق كان من أهم قرارته السياسية والعسكرية حكمة، وقد يتضمن أمر أهمية ذلك الارتباط منذ حملات عمه أسد الدين شيركوه خلال التسابق بين نور الدين وعموري علي مصر .

٢- علينا النظر إلي الأمر ليس من زاوية الولاء بين التابع تجاه السيد، بل الولاء للفكرة المحورية في قضايا الصراع الإسلامي – الصليبي في صورة الجهاد الإسلامي، وقد أكدت وقائع الأحداث، أن ذلك السلطان ما كان يسعي لمجرد توسيع حدود دولته، بل انه بعد (١٤) عاماً من ضم دمشق، وبعد (٤) سنوات فقط من ضم حلب ؛ وجه المسلمون تحت قيادته ضربة قاصمة للكيان الصليبي من خلال معركة حطين في ٤يوليو ١١٨٧م زلزلت أركانه وظل يعاني منها حتى طرده من بلاد الشام عام ١٢٩١م .

٣- في حالة بقاء صلاح الدين قابعاً في مصر، وبلاد الشام تقصف بها الصراعات السياسية عندئذ ما تردد المؤرخون عن اتهامه بالتقصير عن علاج مشكلات بلاد الشام المزمنة في صورة التشرذم السياسي، لذا تعتبر توسعه صوب الشمال أكثر قراراته السياسية والعسكرية حكمة وحصافة .

٤- عندما تزوج صلاح الدين الأيوبي من أرملة نور الدين محمود السيدة عصمت خاتون [١٨] أراد أن يحفظ لها مكانتها السياسية كسلطانة، ولم يكن هذا إذا دلالتها كما توهم البعض من سار في ركاب اتهام السلطان المذكور بكل اتهام ممكن ؛ من أجل تشويه صورته والنيل من سيرته وقد أفاد من مشورتها الحكيمة .

وفي نفس الحين لا تنفي أن ذلك كان نوعاً من الزواج السياسي Political marriage من أجل أن يلحن نسبه بنسب نور الدين محمود علي نحو دل – مرة أخرى – علي خبرته السياسية وحنكته وإن تحركاته لم تكن إلا تحركات من يحرك الأحداث وليس مجرد صدى شاحب لها !!.

و يلاحظ أن هذه السيدة الفاضلة التي عاصرت جهاد نور الدين محمود عام ١١٨٧م ومن بعد صلاح الدين توفيت عام ١١٨٥م ولم يقرر لها أن تشهد تحرير بيت المقدس .

تاسعا: الاتهام بأن صلاح الدين الأيوبي اعتمد علي مجموعة من المؤرخين والشعراء البارعين الذين عملوا علي الدعاية الواسعة له، وأعطوه حجماً أكبر من حجمه، وأنه بالتالي صنيعة كُتاب عصره .

والرد علي ذلك يتمثل في أن المؤرخ أو الأديب مهما اوتي من قدرة علي كتابة التاريخ أو نظم القصائد الشعرية الرائعة، لن تستطيع أن يجعل من القزم عملاقاً، ولن يراهن علي جواد خاسر !!.

وبالتالي فإن الأحداث التاريخية تكشف عن نفسها بجلاء .

هكذا، يتأكد لنا أن بهاء الدين بن شداد، والعماد الأصفهاني، والقاضي الفاضل عبروا عن واقع تاريخي شهد قائداً قاد الجماهير لصنع الانتصار ضد الصليبيين، كما أن القصائد المعروفة بالحطينيات والقدسيات ما هي إلا التعبير الحقيقي عن ذلك العصر بإنجازاته فلم يكن الأمر مجرد دعاية مصطنعة بل اخفاق لواقع تاريخي معاش صنع بدماء الشهداء وعزائم الرجال !!

عاشرا: الاتهام بأن صلاح الدين الأيوبي تآمر علي قيادات إسلامية وصليبية وتسبب في اغتيالها من أمثلتها عمه أسد الدين شيركوه [١٩]( ت١١٦٩م )، والعاضد الفاطمي [٢٠] (ت ١١٧١م)، وابن عمه ناصر الدين محمد [٢١] (ت ١١٨٥م ) وكونراد أوف مونتفرت [٢٢]Conrad of Montferrat (ت ١١٩٢م )، وللرد علي ذلك نورد الآتي :

١- لا يتحمل صلاح الدين الأيوبي مسؤولية موت العاضد الفاطمي الذي كان مريضاً ووقع عليه خبر اسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م كالصاعقة فمات وقد اتهم المؤرخ الصليبي [٢٣]وليم الصوري صلاح الدين بذلك دون دليل حقيقي .

٢- ليس من المنطقي أن يقتل صلاح لادين عمه أسد الدين شيركوه الذي كان يقدره تقديراً عظيماً، والأرجح أنه مات من جراء الافراط في الطعام [٢٤]

٣- فيما يتصل بابن عمه ناصر الدين محمد صاحب حمص أورد المؤرخ ابن الأثير – صحب النصيب الأوفر مي كيل الاتهامات للسلطان الأيوبي – ما يشير إلي أن الأخير أرسل إليه رجلاً يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق، فحضر يقال إليه ونادمه ثم وضع له السم، وعاد إلي صلاح الدين من بعد ذلك [٢٥]، إلا أن تلك الرواية لا تقف علي قدميها من خلال ادراكنا لأخلاق ذلك السلطان وعدم ميله إلي الغدر عموماً، ثم كيف يتم تسميم ناصر الدين محمد وهو وسط أهله وعشيرته ويقوم بذلك المدعو ابن العميد ويغادر مكانه دون رقيب أو حسي ؟!!.فأن مثل تلك الرواية يغلب عليها التحامل وعدم الموضوعية، ومن الواضح أن الميول الزنكية لدي مؤرخ الكامل غلبت عليه فاختلق ذلك الأمر، والمرجح موت ناصر الدين أثر أزمة قلبية بعد أن وصلت إليه اخبار تماثل صلاح الدين للشفاء وكان يناصبه العداء [٢٦].

٤- فيما يتصل باغتيال كونراد أوف مونتفرت الذي كان له دوره البارز في قيادة المقاومة الصليبية العنيفة في مدينة صور اللبنانية ضمن الجيش الأيوبي ،نلاحظ أن ذلك الاتهام الذي أورده ابن الأثير أيضاً !!لا يقف علي قدميه، لأن الحشاشين Assassins الذين قاموا باغتياله [٢٧] اعترفوا أن من حرضهم علي ذلك الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، كما كانت مصلحة صلاح الدين الأيوبي أن يظل كونراد حياً حتى يبقي الفرقة والانقسام في صفوف الصليبيين، كذلك نلاحظ أن ذلك السلطان من فرط أخلاقه النبيلة أرسل طبيبه الخاص موسي بن ميمون Maimonides ( ت١٢٠٤ م) لعلاج ريتشارد قلب الأسد ذلك الملك الإنجليزي عندما مرض في يافا، فكيف لصاحب تلك الأخلاق أن يغتال كونراد أوف دي مونتفرت؟!!

ويعلق مؤرخ نابه علي ذلك قائلاً : إن الحقيقة أن رواية ابن الأثير تفتقد للمصداقية لأنه أولاً يخالف اجماع المصادر الإسلامية والأوروبية المعاصرة، حتى

المصادر الإنجليزية التي اندهشت من اتهام قلب الأسد بتحريض الحشيشية علي اغتيال المركيز لم تحاول قط إلقاء التهمة علي صلاح الدين في محاولاتها تفنيد التهمة عن الملك الإنجليزي، وبالتأكيد لو كانت الأوساط الصليبية في ذلك الوقت قد راودها مجرد الشك في ضلوع صلاح الدين بحادثة الاغتيال لما تأخرت تلك المصادر عن توجيه الاتهام لصلاح الدين علي أقل تقدير من اجل دفع التهمة عن الملك ريتشارد [٢٩].

وهكذا، فإن العبارة المذكورة فيها من الحجج المنطقية ما يفند تماماً اتهام صلاح الدين الأيوبي بقتل تلك القيادة الصليبية .

وأصل الآن إلي اقرار حقيقة لا مناص منها، وهي أن المؤرخ العراقي البارز ابن الاثير علي الرغم من علو مكانته في تاريخ الكتابة التاريخية لدى المسلمين في العصور الوسطي، إلا أن ميوله الحزبية للزنكيين اساءت إليه من خلال روايات لا تقف صامدة أمام النقد التاريخي .وبعد ذلك، فتلك هي أبرز الاتهامات ضد صلاح الدين الأيوبي، الذي قاد المسلمين لانتصار حطين وحرر معهم القدس عام ١١٨٧م بعد قرابة تسعة عقود من الاحتلال البغيض، ومات مريضاً تاركاً في خزانته ديناراً و(٣٧) درهماً !!.

السؤال الآن، هل بعد تلك الحياة الحافلة بالإنجاز تتم الاتهامات نحوه بالصورة التي نراها علي شبكة المعلومات الدولية ( الانترنت ) ؟ !! وقد ساهم فيها إلي حد بعيد عناصر شيعية متعصبة تريد النيل من فارس الإسلام النبيل من خلال زاوية طائفية ضيقة ويتم التباكي علي الفاطميين الذين عجزوا عن مواجهة الصليبيين كنوع من الحنين إلي الماضي إلي الماضي بصورة لن تقدم شيئاً ولن تغير وافقاً !!.

مهما يكن من أمر، تظل مكانة ذلك السلطان مرتفعة ومعه جيشه الذي توحد معه من أجل استرداد تلو الدروس من جهاده الذي حفظه له التاريخ علي الرغم من كيد الكائدين !!.

## الهوامش

١- عن ذلك أنظر :

William of Tyre ,Vol.I ,B-233- 224.

ابن الأثير، الكامل ،ط. القاهرة ب- ت ،جـ١٠، ص ١٠١محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب ،ط. القاهرة ١٩٩٩م – ٢٠٠٠م، ص ٨١، عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ،ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص ٣٧١( يدافع عن الفاطميين )، ايمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ،ط . القاهرة ٢٠٠٠م، ص ,٢٢٦

٢- أسامة زكي زيد، حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل (١١٠- ١١٠٥م/ ٤٩٥- ٤٩٩هـ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٨م .

(٣)عن سقوط عكا أنظر :

Fulcher of Chartres ,p.176.
William of Tyre , VOl.I,p.454- 456.

(٤)عن سقوط بيروت أنظر :

ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨، ص ١٦٧، عوضي الس، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين، ط. الرياض ٢٠٠١، ص ٧٧.

عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلي انتهاء الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ٣٨٦- ص ٣٨٧، نزيه شحاده، بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية – الإسلامية ١٠٩٧- ١٢٩١م / ٤٩٠- ٦٩٠هـ، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطي، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٤١٩.

ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٧١، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ،ط. الإسكندرية ١٩٨٦م، ص ٩٩- ص ١٠٣، أسامة زكي زيد ،صيدا ودورها في الصراع الصليبي – الإسلامي ،ط. الإسكندرية ١٩٨١م، ص ٩١، ص ٩٨، أحمد عارف الزيد، تاريخ صيدا، ط. صيدا ١٣٣١ هـ، ص ٥٧.

عن سقوط صور أنظر :

ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، ص ناديا الغزولي، مدينة صور في حقبة الحروب الصليبية ٤٩٨- ٦٩٠هجري / ١٠٩٦- ١٢٩١ميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق عام ٢٠٠٣م، ص ٦٧، صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني ١١١٨- ١١٣١م / ٥١٢- ٥٢٥، ط . القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١١٢- ١١٥.

(٧)عن سقوط عسقلان أنظر :

William of Tyre,VOl.Ii,p.184.

ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٠٨، السيد عبدالعزيز سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسكندرية في مصر والشام ،ط. بيروت ١٩٧٤م، ص ١٠٨، مصطفي عبد العزيز العسقلاني، عسقلاني ودورها في الصراع الإسلامي – الصليبي، رسالة ماجستير غير منشور، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م .

(٨) اتعاظ بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي محمد ،ط. القاهرة ١٩٩٦م، جـ٣، ص ٢٠٩.

(٩) من أمثلة أنظر :

حسن الأمين، صلاح الدين الأيوبي نظرة مختلفة، العربي، العدد (٤٤٢)، سبتمبر ١٩٩٥م، ص ١٠٤- ص ١٠٧، نفسه، صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين ،ط. بيروت ١٩٩٥م المؤرخ المذكور مؤرخ شيعي متعصب ضد

صلاح الدين الأيوبي وغير متخصص في تاريخ الحروب الصليبية وبالتالي فكتاباته لا يقيد بها !!) .

(١٠)عن صلح الرملة أنظر :

Ambroise, p.429-430. Geoffrey of Vinsauf, p.429- 430. Richard of Devizes, p.63-64. Roger of Wendover, Flowers of History, Trans. Giles, London 1849, p.123.

ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٤، يوسف غوانمه معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ،ط. عمان ١٩٩٥م، ص ٤١- ٤ص ٤٣.

عن تلك المدينة أنظر:

ابن الاثير، الكامل ،ط. بيروت ١٩٧٩م ،جـ١٢، ص ٦٧ العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدس .

تحقيق محمد صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م ؛ ص ٥٧٨، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، تحقيق حسن الشماع ،ط. بغداد ١٩٦٩م، م٤/ جـ١، ص ٢٧.

Jacques de Vitry,p. 113. Roger of Wondover , p.105.

أحمد عبد الجواد الدومي، صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله ،ط. صيدا ب-ت، ص ١٢٤، جنفياف شوفيل، صلاح الدين بطل الإسلام، ت . جورج أبي صالح،ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٠٣، وفاء محمد علي، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ،ط. القاهرة ١٤١٠هـ، ص ٧٢، قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ،ط. بيروت ١٩٧٩م، ص ٣٩٥، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٣٥- ص ٣٦٢.

ابن الاثير، الكامل ،جـ١١، ص ٣٢١.

عن مذبحة صلاح الدين الأيوبي للإسبتارية والداوية أنظر : العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدس، تحقيق محمد صبيح ،ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص ٨١.

Jacques de Vitry,p.101.

C.Oman, A History of The art of War in The Middle Ages, VOl.II, London 1924,p.332.

جوناثان رايلي سميث، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠- ١٣٦٠، ت، صبحي الجابي، ط. دمشق ١٩٨٤م، ص ٧٧-

عن الملك الأفضل علي أنظر :

العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدس، تحقيق محمد صبيح ،ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص ٦٢٩، عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين ،ط. بيروت ١٩٦٤م، ص ٥٠، شقان الدوسكي، الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي (٥٦٥- ٦٢٢هـ / ١١٦٩- ١٢٢٥م ) ،ط. دمشق ٢٠١٢م .

ابن خلكان، وفيات الأعيان وابناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٧م ،جـ ٥، ص ٧٤-ص٧٩، محمود الحويري، العادل الأيوبي، صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ،ط. القاهرة ١٩٨٠م، عباس إسماعيل حلمي، السياسة الداخلية السلطان الملك العادل الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٤٣م .

عن السهروردي الحلبي المقتول انظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٨، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا ،ط. بيروت ب-ت، ص ٦٤١- ص ٦٤٧، السهروردي، نزهة الأرواح وروضة الأفراح ،ط. بيروت ب- ت، ص ٩٧.

مجموعة من الباحثين، الكتاب التذكاري عن السهروردي الحلبي المقتول، تحرير أبو الوفا التفتازاني ،ط. القاهرة ١٩٧٨م، محمد غلاب، التنسك الإسلامي ،ط. القاهرة

ب–ت، ص ١١٠، جورج طرابيشي، معجم الفلسفة الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون المتصوفة ،ط. بيروت ١٩٨٧م، ص ٣٤٣، سلامة موسي، حرية الفكر ،ط. بيروت ١٩٥٩م، ص ١١٥.

عن الغزالي أنظر :

الغزالي، المنقذ من الضلال ،ط. دمشق ١٩٥٦م، زكريا بشير إمام، تاريخ الفلسفة الإسكندرية دراسة مدخلية ميسرة ،ط. الخرطوم ١٩٩٨م، ص ٢٥٩– ص ٣٣٦، محمد عبد العزيز المعايطة، الفلسفة الإسلامية ،ط. عمان ٢٠٠٨م، ص ٢٠٧– ص٢٢٢، ديبور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ت. محمد عبد الهادي أبو ريدة ،ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٥٩– ص ٢٩٢، وحسن قبيس ،ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٢٧١– ٢٨١، عبده الحلو، الوافي في تاريخ الفلسفة العربية ،ط. بيروت ١٩٩٥م، ٢٩٣–ص ٣٧٨، تيسير شيخ الأرض، الغزالي، ط. القاهرة ١٩٦٠م، أبو العطاء البقري، اعترافات الغزالي ،ط. القاهرة ١٣٤ فريد جبر، مفهوم المعرفة عند الغزالي ،ط. بيروت ١٩٥٨م ،زكي سالم، الإنسان في فلسفة الغزالي وتصوفه ،ط. القاهرة ١٩٩٤م، زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي ،ط .بيروت ب– ت، محمود حمدي زقزوق، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٤٩– ص ١٠٩، كرادوفوه الغزالي، ت. عادل زعيتر ،ط. بيروت ١٩٥٩م .

عنها أنظر :النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني ،ط. دمشق ١٩٤٨م، جـ١، ص ٥٠٧– ص ٥١٠، ابن طولون الصالحي – القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان ،ط. دمشق ١٩٨٠م، جـ١، ص ١٠٣– ص ١٠٧، سامية البلوشي المرأة في العصر الأيوبي بمصر والشام ٥٦٧–كلية الآداب – جامعة الشارقة عام ٢٠١١م، ص ٢٠٨.

عن أسد الدين شيركوه أنظر :

ابن حماد، أخبار الملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس،ط. القاهرة ١٤١٠هـ، ص ٦٣، محمد زين العابدين، أسد الدين شيركوه حياته ودوره في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز عام ١٤١٥هـ، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب ،ط. القاهرة ١٩٩٩- ٢٠٠٠م، ص ١٩٥-١٩٦.

عن العاضد الفاطمي أنظر :

القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج ،ط. بيروت ب- ت، ص ٥٣، المقريزي، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص ٢٤٣-ص ٣٣، ماهر أحمد مصطفي، عصر الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة سوهاج عام ١٩٩٠م، سامي المغلوث ،أطلس الحملات الصليبية علي المشرق الإسلامي في العصور الوسطي ،ط. الرياض ٢٠٠٩م، ص ٩٦( الكتاب المذكور يحوي جهداً علمياً بارزاً ) .

عن ناصر الدين محمد أنظر :

منذر الحايك، العصر الأيوبي، ص ٨٠- ص ٨٤، مفيد الزيدي، تاريخ الحروب الصليبية ،ط. عمان ٢٠١٠م، ص ٢١٥ .

عن كونراد اوف مونتفرت أنظر :

C.E.,ed .A.Murray,VOL.I,Oxford,2006,pp.273-274.

حسين عطية ،قومون صور (١١٨٧-١١٨٩) نشأته واهدافه ونهايته، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ٢٠٠٠م،

ص ١٧٩–ص ٢٢١، إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني ،ط. بيروت ب–ت ص ٨٦،

وليم الصوري، الحروب الصليبية ،جـ٢، ص ٩٣٦.

ابن شداد، سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق احمد ابيش، ط. دمشق ٢٠٠٩م ن ص ١٠٤، ايضاً حمدي عبد المنعم ،د راسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ،ط. الإسكندرية ١٩٩٨م، ص ٢١– ص ٢٢.

ابن الأثير، الكامل ،ط. بيروت ب–ت بيروت، جـ١١، ص ٥١٨.

منذر الحايك، العصر الأيوبي، ص ٨٤–ص ٨٥.

عن اغتيال كونراد أوف مونتفرت أنظر :

مجهول، ذيل وليم الصوري، ت.حسن حبشي، سلسلة تاريخ المصريين ،ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٢٥، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٣١٠، ابن واصل – مفرج الكروب ،جـ٢، ص ٣٨٢، السيد الباز العريني، الشرق الأوسطو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٠م ن جـ١، ص ٩٩٠، زينب عبد القوي، الإنجليز ودورهم في الحروب الصليبية، ص ١٣٢، –

محمد المقدم، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص٢٠١– ص٢٠٧.

(٢٨)عن موسي بن ميمون أنظر :

موسي بن ميمون، دلالة الحائرين، ت. حسين اتاي ،طز القاهرة ب– ت، عطا بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ب– ت، ٥٨٢– ص ٥٨٣، عائشة زيدان، موسي بم ميمون ورسالته إلي سلطان مصر الملك الأفضل، حوليات كلية الآداب — جامعة عين شمس م(٢٥)، جـ(٢) عام ١٩٩٦–

١٩٩٧م، ص ٣٦٣- ص ٤٥٥، إسرائيل ولفنسون، موسي بن ميمون حياته ومصنفاته ،ط. القاهرة ١٩٣٦م، حسن ظاظا، موسي بن ميمون والمسلمون، الفيصل، العدد (٢٢١) إبريل ١٩٩٥م، ص- ص ٤٩، محمد مؤنس عوض، اضواء علي الإسهام الطبي لموسي بن ميمون ( ت١٢٠٤م ) في مصر الأيوبية، ضمن كتاب أضواء جديدة علي الحروب الصليبية ،ط. رام الله ٢٠٠٠م، ص ٦٢- ص٩٣.نفسه، من وثائق الجنيزة اليهودية عصر الحروب الصليبية – رسالة موسي بن ميمون (ت ١٢٠٤م) إلي صمويل بن طبون (ت ١٢٠٣م)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد (٣٤) مارس عام ٢٠٠٤م، حسن حسن كامل، موسي بن ميمون وآراؤه الكلامية والفلسفية ،ط. طنطا ١٩٩٧م، ص ٢ – ص ٢٩ ؛ جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي ( عصر المرابطين والموحدين)، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ١٦٣ كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي ،ط. بغداد ١٩٨٥م ،جـ٢- ص ٥٤ –ص ٦٠، قاسم عبده، أهل الذمة في مصر العصور الوسطي ،د راسة وثائقية ،ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٦١- ص,٦٢

٢٥محمد المقدم، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، ص ٢٠٧.

# معركتا مريو كيفالولون Myriokephalon
# (١١٧٦م ) وتل الجزر Montgisard (١١٧٧م )
## هزيمتان بيزنطية وأيوبية – دراسة مقارنة

# معركتا مريو كيفالولون Myriokephalon
# (١١٧٦م ) وتل الجزر Montgisard (١١٧٧م )
## هزيمتان بيزنطية وأيوبية – دراسة مقارنة

يتناول هذا البحث بالدراسة، معركتي مريو كيفالون [١] التي هزمت فيها الإمبراطورية البيزنطية عام ١١٧٦م، وكذلك معركة تل الجزر [٢]Montgisard التي هزمت فيها الدولة الأيوبية عام ١١٧٧م، ويسعي إلي عقد مقارنة بينهما من خلال رصد أوجه التشابه وجوانب الاختلاق .

الواقع أن هذا البحث لا يتجه إلي اللهث وراء الأحداث من خلال تقديم عرض تقليدي للمعركتين المذكورتين، بل يسعي إلي تقديم نظرة بانورامية شاملة علي الحدثين العسكريين المذكورين ونتائجهما علي مختلف الأصعدة والمستويات .

تجدر الإشارة إلي أهمية دراسة الهزائم العسكرية حينذاك، لنها تسلط الأضواء الكاشفة علي سلوكيات القادة وقت الخطر وردود أفعالهم تجاه عنصر المفاجأة في هجوم الطرف المعادي، وبالتالي فإن التركيز علي الانتصارات فقط، لن يجعلنا ندرك "المشهد التاريخي" علي نحو متكامل بصورة موضوعية .

من المهم هنا، ملاحظة أن هدف هذا البحث ليس النيل من فارس الإسلام البارز عصر الحروب الصليبية، إذ أن صلاح الدين الأيوبي لا يمكن اختزال تاريخه العسكري المشرف في هزيمة تل الجزر ١١٧٧م، وأرسوف عام ١١٩١م، لأن الإنجاز التاريخي البارز الذي قاد المسلمين إليه في صورة معركة حطين الحاسمة في ٤ يوليو ١١٨٧م، وانهيار مملكة بيت المقدس في أعقابها وفتح الساحل الشامي لأول مرة أمام المسلمين منذ أن أغلق تماماً عام ١١٥٣م إلي العام المذكور، وتهاوي القلاع الصليبية Crusader Castles، كل ذلك كفيل بالرد علي من يحاول – عبثاً – التقليل من شان ذلك القانون خلال هزيمة مؤقتة، هنا أو اخفاق هناك والواقع، أن

الباحث في الموضوع المذكور يجد ان المادة التاريخية المتاحة لا تتوازن مع الهزائم العسكرية، وهو أمر متوقع خاصة من جانب المصادر التاريخية الرسمية التي حرصت دوماً علي ابراز الانتصارات والتقليل من شأن الهزائم .

من جهة أخرى، لا نغفل أن المنتصر دوماً يكتب التاريخ، لذلك فصلت المصادر الصليبية أمر انتصار الصليبيين في معركة تل الجزر وعلي رأسها ما كتبه مؤرخ المملكة الرسمي البارز وليم الصوري William of Tyre، الذي قدم تفاصيل ضافية في هذا الأمر من خلال دعاية سياسية لا تنكر ورغبة واضحة في الثأر من خلال دعاية سياسية لا تنكر ورغبة واضحة في الثأر من صلاح لادين الأيوبي الذي نكب الصليبيون بسياساته – حينذاك خاصة من خلال توحيد مصر وبلاد الشام جزئياً في قبضته .

بصفة عامة، بالنسبة لمعركة مريا كيفالون نلاحظ أن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين ( ١١٤٣- ١١٨٠م ) بعد ان تفرغ من مشكلاته في أوروبا من خلال عقده لمعاهدة مع البندقية Venice عام ١١٧٧م، بالإضافة إلي استئناف الصراع بين البابوية وفردريك باربروسا Frederick Barbarossa، وقد جعله ذلك يتجه إلي استئناف الصراع مع السلاجقة متوهماً أن في مقدوره حسم الأمر لصالحه فيجبهة آسيا الصغرى Asia Minor وإيقاف التوسع السلجوقي هناك [٣]، دون إدراك واعٍ لموازين القوى بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة .

كما لا نغفل أن تحصين مدينة لاذيق في وادي نهر الميندر قد شجعت العناصر الوطنية البيزنطية علي العودة إلي هذه المنطقة وتعميرها، وقد زودوا الخزانة الإمبراطورية بالضرائب، وشعر مانويل كومنين بضرورة تأمين بقاء السلطان فيها [٤] دعماً للإمبراطورية البيزنطية .

أما فيما يتصل بالجانب السلجوقي، يلاحظ أن قلج أرسلان الثاني (١١٥٦-١١٩٢م ) رأي لجوء بعض المعارضين له إلي القسطنطينية في صورة الأميرين شاهنشاه وذي النون وقد رحب الإمبراطور مانويل بهما ولذلك زادت مخاوفه حيال ذلك ولا نغفل أن الإمبراطور فردريك باباروسا قد أجرى مراسلات مع قلج أرسلان الثاني علي اعتبار أنه العدو اللدود للإمبراطورية البيزنطية، ولا شك في أن ذلك شجع تلك القيادة السلجوقية علي حسم الصراع مع البيزنطيين في ساحات القتال .

تجدر الإشارة إلي أن قلج أرسلان الثاني كان قد تمكن من القضاء علي إمارة الدانشمنديين في سيواسي ؛ مما جعله يتشجع لمواجهة البيزنطيين من اجل تأمين حدوده الغربية في آسيا الصغرى [٥] .

بصفة عامة إلتقي الطرفان عند منطقة مرياكيفالون الواقعة في إقليم فريجيا Phrygia إلي الشرق من كوما Choma ، وهي منطقة جبلية في آسيا الصغرى، وذلك في يوم ١٧ سبتمبر ١١٧٦م، وكان علي الجيش البيزنطي قطع ممرا بلغ طوله (١٠) أميال علي نحو سريع من اجل الخروج إلي سهل منبسط أمام مدينة قونية، ولذلك اندفع الجنود البيزنطيون مع عرباتهم ومعداتهم حتى تكدس بهم الممر، وقد ساروا إلي جوار الدواب والعربات المتلاحقة، وُد أصيبوا بحالة مرضية من مظاهرها الإسهال فخارت قواهم، وقد أبطأت العربات الثقيلة التي حملت آلات الحصار، فوجه الجنود أنفسهم وقد حشروا وصار من المستحيل عليهم التقدم وتسببت المقدمة والمؤخرة في غلق الممر [٦] مما دل علي ان البيزنطيين كانوا في مواجهة كارثة عسكرية لا فكاك منها .

مع عدم إغفال أنهم كانوا أصلاً من نقص المؤن والمدادات وشعف رصد قوات السلاجقة وامكاناتها .

يلاحظ أن العناصر التركية فكانت تراقب كل ذلك واتجهت إلي الانقضاض علي الجيش البيزنطي وعرقلت العربات الثقيلة حركة البيزنطيين، وقد هاجم الأتراك مؤخرة الجيش البيزنطي، كما تمكنوا من وقف تقدمه وبالتالي كان محاصراً [٧] من الناحيتين .

وقد تمكن الإمبراطور البيزنطي من الفرار بصعوبة بالغة خلال أحداث تلك الكارثة العسكرية ويقرر المؤرخ البارز السير ستيفن رنسيمان Runciman Sir Steven أنه كان في مقدوره انقاذ الموقف، إلا أن شجاعة مانويل كومنين تخلت عنه، وقد تملكه الذعر ولاذ بالفرار خارج الدرب وحاول جيشه أن يتبعه إلا أن الفوضى والاضطراب سيطرت عليه وفتك الأتراك بعدد وافر منهم ولم يفلت من ذلك المصير إلا أقل القليل [٨] ومن الجلي البين أنهم لم يجدوا قائداً يقدم لهم النموذج والقدوة في ذلك الموقف العصيب .

يلاحظ أن هناك من الباحثين من يميل إلي عقد مقارنة بين معركتي مريا كيفالون ١١٧٦م، ومانزكرت عام ١٠٧١م [٩] التي هزم خلالها الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجنيس (١٠٦٨- ١٠٧١م ) من جانب السلطان السلجوقي ألب أرسلان (١٠٣٦- ١٠٧٢م ) حيث تم أسر الإمبراطور والفتك بجيشه حينذاك، ومن أسباب ذلك ؛ أن كلاً من المعركتين تعد ان كارثة عسكرية حلت بالإمبراطورية البيزنطية ذات التاريخ الحربي العريق .

و قد أدرك الإمبراطور مانويل كومنين تفسه ذلك، فكان يقارن بين مريا كيفالون ومانزكرت حتى انه اطلق علي نفسه " شريك الكوارث " [١٠] مع رومانوس ديوجنيس .

الأمر المؤكد ان معركة مريا كيفالون في معركة حاسمة لأنها قضت نهائياً علي الحلم البيزنطي في طرد السلاجقة من آسيا الصغرى ،وقد غيرت ميزان القوى لصالح

المسلمين، كما أدت إلي تثبيت سلطة الأتراك في السلاجقة في آسيا الصغرى، وتحولت في اعقابها إلي أرض تركية مسلمة [١١] .

كذلك وضعت تلك المعركة حداً امام البيزنطيين في آسيا الصغرى، ولم يعد في مقدورهم القول بأن المناطق الخاصة للأتراك هو جزء من مناطق الإمبراطورية البيزنطية كما صار الطريق مفتوحاً أمام السلاجقة ؛ من أجل التوغل عبلي نحو أكبر صوب الغرب بعد ان تقدمت قوات قلج أرسلان وفتحت مدن اولو بولو Ulobolu، وكوتاهية، واسكي شهر إلي أن وصلت إلي سواحل بحر إيجه Aegeau Sea [١٢] علي نحو كشف عن الضعف الشديد الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية فيما بعد معركة مريا كيفالون الحاسمة ولا نغفل هنا ملاحظة أن معركة كيفالون التي حدثت عام ١١٧٧م، جاءت قبل (٢٧) عاماً من حدوث كارثة سقوط القسطنطينية التي شكلت القلب السياسي للإمبراطورية البيزنطية خلال أحداث ما عرف بالحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م علي أيدي القوي الأوروبية الغربية لأول مرة في تاريخها منذ أن افتتحها الإمبراطور قسطنطين الكبير في مايو ٣٣٠م، ودلالة ذلك أن هزيمة مانويل كومنين في المعركة المذكورة ؛ جاء معبراً عن الضعف الداخلي الذي كانت تعاني منه تلك الإمبراطورية خاصة أن السقوط في التاريخ دوماً يكون من الداخل قبل الخارج وهكذا نكب الإمبراطور المذكور متبني سياسة التغريب Westernization بكارثة في مقتل عصف بمكانته السياسية ويري البعض أنه كان في مقدور قلج أرسلان الثاني إملاء الشروط القاسية علي الإمبراطور كومنين علي إثر تلك الهزيمة الفادحة، ويحصل منه علي اخلاء آسيا الصغرى أو الحصول علي موانئ ساحلية ذات موقع استراتيجي ممتاز، حيث أنه لم يقدم علي ذلك، اختلف المؤرخون في تقليل هذا الأمر، وقد قرر ستيفن ريسمان أن ذلك السلطان لم يدرك قيمة الانتصار الذي حققه، وهو أمر مستبعد، أما عثمان توران فقد اعتقد أن السلطان قبل طلب

الإمبراطور للسلام لأسباب مجهولة، بينما علل كلود كاهن الأمر من خلال أن السلطان كان يريد دعم مركزه في وسط الأناضول Anatolia و أن توجيهه كان صوب الشرق لكي يقوم بدور بارز في شمالي بلاد الشام وإقليم الجزيرة والاستفادة من الفراغ السياسي الذي حدث بعد وفاة نور الدين محمود عام ١١٧٤م[١٣].

الواقع أن تسلسل الأحداث ذاتها يجعلنا نرجح الرأي الأخير، إذ أدرك ذلك القائد السلجوقي أن عليه الاستفادة من ذلك الفراغ السياسي المذكور لتحقيق طموحاته هناك أما بالنسبة لمعركة تل الجزر فقد وقعت أحداثها يوم ٢٥ نوفمبر ١١٧٧م، وهو يوافق عيد القديسة كاترين السكندرية St.Catherine of Alexandria، ووقعت في منطقة تل الجزر علي بعد ٨ ك. جنوب شرقي الرملة[١٤] بفلسطين وقد اتجه صلاح الدين الأيوبي إلي محاربة الصليبيين .و ذلك بعد أن تمكن من إسقاط الخلافة الفاطمية عام ١١٧١م. وأتجه إلي توحيد دمشق مع القاهرة عام ١١٧٤م عندما فقدم صوب عاصمة بلاد الشام التاريخية في أعقاب وفاة سيده نور الدين محمود، وهكذا، وجدناه قد غادر القاهرة في نوفمبر عام ١١٧٣م، وأتجه صوب فلسطين، ونزل علي عسقلان الواقعة نحو (١٣) ك .م إلي الشمال من غزة، وكان الصليبيون قد تمكنوا من اخضاعها لسيطرتهم في عام ١١٥٣م، في عهد الملك بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٣- ١١٦٣م ) – وبالتالي سقطت آخر مدينة فاطمية علي الساحل الشامي .

و قد حكم مملكة بيت المقدس الصليبية عندئذ الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٤- ١١٨٥م ) وعندما علم بتقدم صلاح الدين بقواته؛ أسرع إلي عسقلان وكانت القوات الأيوبية تمكنت من فرض الحصار عليها، واتجه صلاح الدين ببعض قواته نحو حصار بيت المقدس، فطلب الملك الصليبي المذكور الدعم من قوات الداوية Templars في غزة واللحاق به في عسقلان، وعندما

كانت القوات الأيوبية تجتاز منخفض عند تل الجزر Montgisard إلي الجنوب الشرقي من الرملة [١٥]؛ أنقض الصليبيون عليها، فلاذ عدد كبير منهم بالفرار، ويلاحظ أنهم لم يكن لديهم حصن قريب يمكنهم اللجوء إليه والاحتماء فيه [١٦]، أما صلاح الدين الأيوبي نفسه، فقد تولي حراسه حمايته وتعرض للموت عدة مرات خلال تلك المعركة، وهام جنوده علي وجوههم ولجأوا إلي مستنقع عرف بعين القصب واختفي بعضهم فيه [١٧]، وقاموا بالانطلاق نحو صحراء شبه جزيرة سيناء [١٨] القاحلة متجهين صوب مصر وهم علي أسوأ حال حيث يؤكد ابن شداد أنهم ضلوا الطريق وتبددوا [١٩] .

و يقدم لنا المؤرخ الصليبي وليم الصوري William of Tyre تفاصيل مسهبة عن أحداث تلك المعركة، ويتضح منخلالها أن الهزيمة كانت فادحة، وقد اضطر فرسان الجيش الأيوبي إلي إلقاء متعلقاتهم منها نحو مائة درع من علي ظهور الخيول حتى يتمكنوا من الاسراع بالفرار تخفيفاً للمعدات التي يحملونها .

كذلك أشار إلي سوء الأحوال الجوية التي لم تكن في صالح الأيوبيين حيث هطلت الأمطار بغزارة مصحوبة ببرد شديد، وقرر ما نصه : " أن العوامل الجوية نفسها قد تآمرت ضد الأعداء " .

كما أشار ذلك المؤرخ أن عناصر البدو هاجموا الفارين من عناصر الجيش الأيوبي علي نحو يؤكد تعدد العوامل المعوقة له حينذاك [٢٠]، وأن الأيوبيين تجدر الإشارة إلي وجود الأمير الصليبي رينو دي شاتيون Renauld deChatillon المعروف في المصادر العربية بإرناط ضمن القيادات الصليبية في أحداث معركة تل الجزر، وبالتالي يؤكد ذلك علي وجوده في الأحداث البارزة في تاريخ صلاح لادين كما في تل الجزر ١١٧٧م، والهجوم الغادر علي الحجاز عام ١١٨٣م، ومعركة حطين عام ١١٨٧م، وبالتالي ليس في الإمكان كتابة تاريخ السلطان المذكور دون

ذلك الأمير الصليبي ونفس الأمر بالنسبة للأخير خاصة منذ اطلاق سراحه من أسر المسلمين .

الأمر المؤكد أن السلطان الأيوبي لم يكن أمامه سوى الانسحاب، لأن مواصلة القتال خلال تلك الظروف القاسية الغير متكافئة عسكرياً كان يعد نوعاً من الانتحار العسكري وبالتالي السياسي، مع ملاحظة أن المؤرخين الذين تستهويهم دوماً والانتصارات الحربية نظروا إلي ذلك الانسحاب علي أنه عار لحق بذلك القائد، بينما كان من الحكمة القيام بذلك من أجل إعادة الصفوف مرة أخرى وهو ما تم فعلاً .

ولا نغفل في هذا الأمر أن أستاذه في حركة الجهاد الإسلامي ونعني به نور الدين محمود (١١٤٦- ١١٧٤م ) انهزم هو الاخر منقبل في معركة البقيعة [٢٢] في سفح حصن الأكراد Crac des Chewvaliers ولاذ بالفرار لكي يواصل الصراع الحربي مع الصليبيين من بعد .

الواقع من الجوانب المهمة في دراسة المعركة المذكورة ابطال تجهل اسماءهم من عناصر الجيش الأيوبي، في صورة الحراس الشخصيين لصلاح الدين الأيوبي إذ دافعوا عنه باستماته ودفعوا حياتهم ثمنا لبقائه [٢٣] حياً يرزق، ولا تذكر المصادر التاريخية اسماءهم علي الرغم من أهمية دورهم في تلك الظروف العصيبة وبالتالي هذا يؤكد أن هناك شخصيات مهمشة كان لها دورها البارز في تاريخ ذلك السلطان، ولم نجد من يقدرها من المؤرخين المعاصرين الذين غالباً ما اختزلوا التاريخ حينذاك فيشخص القائد وهو أمر يخالف الواقع التاريخي لأن التاريخ يصنعه دائما الطرفان القائد والمجموع الشعبي يلاحظ وجود شخصية مجهولة في صورة مقاتل كردي دافع عن نور الدين محمود في يوم معركة البقيعة، وقام بقطع الحبل الذي كان يربط حصان ذلك القائد المسلم بالوتد في الأرض، وعلي أثر ذلك تمكن الأخير من امتطاء صهوته

والفرار، فأنقذه من موت محقق !!، ولا نعرف له اسماً مع ملاحظة أن نور الدين محمود حرص علي رعاية عائلته واجزل لهم العطاء تقديراً لموقفه النبيل وبالتالي تشابه الموقفان معاً ، بطل في عهد نور الدين ومجموعة من الأبطال الحراس الشخصيين لصلاح الدين الأيوبي .

و مما زاد من صعوبة الموقف أن قاعدة الجيش الأيوبي في العريش تعرضت للهجوم من جانب عناصر البدو الخونة [٢٤] الذين استغلوا تلك الحداث الواقع أن علينا رصد سلوك صلاح الدين الأيوبي حينذاك، فقد حاول أن يعيد الأمور إلي نصابها دون جدوى، واتجه إلي اجتياز شبه جزيرة سيناء وكان ذلك العبور شاقاً للغاية جسدياً وقد أرسل من الحدود المصرية الرسل علي الهجن إلي القاهرة حتى يتم إخبارهم بأنه لا يزال علي قيد الحياة ليمنع أية محاولة للتمرد، وقام الحمام الزاجل بإبلاغ كافة أنحاء مصر بعودته إلي القاهرة [٢٥]عند تقيمنا لمعركة تل الجزر التي عرفت في المصادر الأيوبية بكسرة الرملة [٢٦]، نجد أنها لم تكن معركة حاسمة فلم تؤد إلي هزيمة فادحة بالجيش الأيوبي الذي تمكن فيما بعد من إسقاط المملكة الصليبية بعد أحداثها بثلاث عشرة سنة ١١٨٧م، ومع ذلك فإن الانتصار من جانب بلدوين الرابع فيها جاء ليؤكد تمكنه من حماية القلب الصليبي في بيت المقدس .

من جهة أخرى، كانت تلك المعركة درساً قاسياً لصلاح ادين الأيوبي وقد أثرت فيه علي النحو التالي :

أولا : ادرك أن الهجوم علي الصليبيين ينبغي أن يكون من الشمال منطلقاً من دمشق لا من الجنوب انطلاقاً من القاهرة، نظراً لبعد المسافة بين منطقة الانطلاق والهدف العسكري المتجه إليه من أجل تأمين خطوط تموين قواته [٢٧] خاصة ان شبه جزيرة سيناء كان اختراقها يعتبر أمراً شاقاً مع وجود عناصر من البدو الخونة الذين قدموا خدماتهم لمن يدفع لهم اكثر وكانوا عوناً بصفة عامة

للصليبيين ضد المسلمين وتمثلت خطورتهم في وجودهم علي أرض الإسلام وقد افاد الغزاة منهم في مرات عديدة .

و الأمر المؤكد أن اداء الجيش الأيوبي فيما بعد في حطين عام ١١٨٧م، كان بمثابة التصحيح العسكري لما حل به عام ١١٧٧م علي نحو دل علي أن خبرة صلاح الدين الأيوبي كقائد كانت تنمو وتتزايد وتستفيد من التجارب السابقة علي الرغم من قسوتها .

ثانياً : زاد اصرار صلاح لادين الأيوبي علي قتال الصليبيين، ولذلك أشارت المصادر إلي انه "حلف لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج مما دل علي أنه أراد الثأر لتاريخه العسكري من تلك الهزيمة التي كان لها أثرها النفسي البالغ السوء وهنا من الممكن الافتراض بأن ذلك السلطان أدرك خطورة الفارس الصليبي إرناط علي تطور الأحداث، ويلاحظ هنا ان هناك نقاط التقاء عدوانية بين القائدين المسلم [٢٩] والصليبي يمكن ملاحظتها من خلال معركة تل الجزر ١١٧٧م، وحملة إرناط الغادرة الفاشلة عام ١١٨٣م، ثم حطين ١١٨٧م حيث تمكن صلاح لادين من الفتك به شخصياً مع معاونة البعض من رجاله وبالتالي فإن تعليل انتصار عام ١١٨٧م لا يمكن فهمه دون احداث معركة تل الجزر عام ١١٧٧م وتوابعها من احداث امتدت نحو العقد الثامن من القرن ١٢م والعلاقة العدوانية بين القائدين المذكورين .

الأمر المؤكد ان صلاح الدين الأيوبي امتلك شخصية لا تنسي ثأرها – وهو ثأر الجيش الأيوبي بطبيعة الحال – وقد تدعم مبرر ذلك الثأر علي نحو قوي من خلال تآمر ذلك الفارس الصليبي بهجومه علي الحجاز عام ١١٨٣م حيث الماكن المقدسة الإسلامية علي نحو اكد للسلطان المذكور ضرورة الفتك به وهو ما حدث فعلاً في ٤ يوليو ١١٨٧م .

جدير بالذكر، أن صلاح الدين الأيوبي نال ثأره من الصليبيين، إذ اصطدمت قواته معهم في ١٠ يونيو ١١٧٩م – أي بعد قرابة العام ونصف من معركة تل الجزر – في معركة سهل مرج عيون [٣٠]، وتمكن خلالها الجيش الأيوبي من قتل العديد من فرسانهم ولم ينج بلدوين الرابع نفسه إلا بصعوبة ووقع في الأسر عدد كبير من الفرسان والبارونات الصليبيين . وهكذا يتأكد لنا ان ذلك السلطان لم يندفع في عملية عسكرية جديدة غير مأمونة العواقب عقب معركة تل الجزر مباشرة بل انتظر إلي أن كان التوقيت المناسب من أجل انزال الهزيمة بالصليبيين، ومن المفترض – منطقياً – تجنبه للأخطاء التي ارتكبت في المعركة المذكورة عام ١١٧٧م علي نحو مكنه ومكن قواته من صنع انتصار عام ١١٧٩ م.

ثالثاً : من المفترض منطقياً أن صلاح الدين الأيوبي سعي إلي ان يلعق جراحه بعد معركة تل الجزر التي عُدت الهزيمة الولي في تاريخه العسكري حيث كانت الثانية في أرسوف عام ١١٩١م بعدها ب (١٤) عاماً وبالتالي أدرك ضرورة الحذر الشديد في أية تحركات عسكرية كبيرة مستقبلية، ومن الأمور ذات الدلالة أنه لم يقدم علي معركة حطين الحاسمة إلا بعد انقضاء عهد بلدوين الرابع (١١٧٤– ١١٨٥م )، عندما تأكد تماماً من ان الصليبيين يمرون بمرحلة حرجة من التدهور الذي لن يتمكنوا بعد من تحقيق انتصار حاسم علي القوات الأيوبية وفرض عليهم مكان وزمان المعركة علي نحو أدي إلي النصر المبين وبالتالي تجنب أي خطأ عسكري أرتكب في معركة تل الجزر .

وهكذا يتأكد لنا أن يوم ٤ يوليو ١١٨٧م والانتصار الحاسم الذي حدث فيه ضد الصليبيين في صورة حطين لم يكن بالأمر السهل، بل من ورائه مشاق بالغة ودروس قاسية كما في المعركة المذكورة .

رابعاً هناك زاوية علي جانب كبير من الأهمية تفيدنا في فهم شخصية ذلك القائد المسلم البارز عصر الحروب الصليبية، فقد تعرض للموت خلال تلك المعركة المريرة عدة مرات –كما أسلفت الإشارة – وادرك نجاته علي نحو دل علي إيمانه وسعة أفقه، فقد ذكر للبعض " لقد أشرفنا علي الهلاك غير مرة وما انجانا الله سبحانه منه إلا لأمر يريده سبحانه [٣١]، وهو ما أكدته الأيام بعد ذلك بعشر سنوات عندما قاد المسلمين نحو انتصار تاريخي غير مسبوق في حطين في ٤ يوليو عام ١١٨٧م .

إن ذلك القول يكشف لنا عن عمق رؤيته وحكمته، فهو لم ينظر للأمور علي نحو قاصر بل عبر رؤية عميقة نتوقع وتستشرف المستقبل وكانت تلك الرؤية الثاقبة معبرة عن ملمح بارز من ملامح شخصيته .

عند المقارنة بين معركتي مريا كيفالون وتل الجزر يتضح لنا الآتي :

أولا :حدثت المعركة الأولي في آسيا الصغرى Asia Minor ، أما الثانية ؛ توقفت في غربي آسيا في فلسطين، أي أن المعركتين آسيويتين الطابع بوجه عام، وأن اختلفت الأولي عن الثانية، إذ أن مرياكيفالون ذات طبيعة جبلية، أما تل الجزر، فهي ذات طبيعة صحراوية، ولا نغفل هنا أهمية العنصر الجغرافي عموما؛ فالجغرافيا توجه التاريخ وما التاريخ إلا الصراع علي الجغرافيا في بعض جوانبه، فالملاحظ أن المناطق الجبلية تسمح بالمناورة من خلال ذكاء القائد وتخطيطه للأمور بحنكة وحكمة، أما المناطق الصحراوية ؛ فهي مكشوفة تماماً خاصة في حالة معركة تل الجزر لعدم وجود أي حصن يمكن للمسلمين اللجوء إليه وكان من أهم العوامل التي أدت إلي إلحاق الهزيمة بهم واضطرارهم إلي الانسحاب مسافات شاسعة للوصول إلي القاهرة مجهدين منهكين .

ثانيا : معركة مريا كيفالون تعد معركة حاسمة، لنها أدت إلي تغيير خريطة توزيعات قوى الجغرافيا السياسية في منطقة آسيا الصغرى لصالح سلاجقة الروم وهزت بعمق مكانة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين داخلياً وخارجياً، وبالفعل وصفت بأنها كسرت إرادة الطرف البيزنطي أما معركة تل الجزر، فلا توصف بهذا الوصف ؛ إذ لم تؤد إلي الفتك بالجيش الأيوبي وجعله بين قتيل وأسير، بل تمكن قائده من الانسحاب من أرض القتال والعودة إلي قاعدته داخل مصر علي الرغم من الخسائر التي مني بها .

هكذا، تعد معركة تل الجزر معركة محدودة النتائج ولم تؤد إلي حسم الصراع الصليبي – الإسلامي لصالح الصليبيين علي نحو كامل ،حقيقة أنها منعت تقدم الجيش الأيوبي صوب بيت المقدس، إلا أنها لم تؤد إلي اكتساب أية مكاسب جديدة للصليبيين أبعد من تحقيق ذلك الهدف التأميني للعاصمة السياسة والدينية لهم .

ثالثاً : عاش صلاح الدين الأيوبي (١٨) عاماً يعد معركة تل الجزر، وتمكن من الأخذ بثأره من خلال حطين عام ١١٨٧م، أما مانويل كومنين فلم يعش بعد احداث مريا كيفالون سوى (٤ ) أعوام فحسب، ولم يثأر لهزيمته فيها بل أمضى الأعوام المذكورة مكتئباً وقد افترسته ذكرى الهزيمة .

رابعا: الفارق الزمني بين المعركتين ما زاد قليلاً عن عام واحد فمعركة مركيفالون جرت في ١٧ سبتمبر ١١٧٦م، وتل الجزر حدثت في ٢٥ نوفمبر من عام ١١٧٧م، كما أن كلاً منهما حدث خلال شهور الشتاء القارص البرودة في آسيا الصغرى وكذلك صحراء جنوبي فلسطين .

خامساً : إذا ما قارنا بين سلوك القائدين نجد أن الإمبراطور البيزنطي لاذ بالفرار ولم يظهر شجاعة، أما صلاح لادين فقاوم ببسالة وتعرض للموت عدة مرات، إلي أن اضطر إلي الانسحاب ولا نغفل هنا الفارق بين القائدين فمانويل

كومنين لم يكن رجلاً عسكرياً في الأساس أما صلاح الدين الأيوبي فهو قائد عسكري محترف وله تاريخه قبل معركة تل الجزر وكذلك بعدها حتى عام ١١٩٢م، وقد واجه العديد من المؤامرات والدسائس والمكائد علي نحو جعله يتمكن من اصدار قراره بالانسحاب واستيعاب الموقف بعد أن أبلي ضروباً من الشجاعة إلا أن الموقف ذاته كان أكبر من قدراته علي الاحتواء .

سادسا: إذا ما قارنا بين المعركتين في مجال المسؤولية، نجد أن القائدين يتحملان المسؤولية عما حدث، فكان علي الإمبراطور البيزنطي ألا يندفع في مواجهة غير محسوبة العواقب مع قلج ارسلان الثاني، ولم يدرس جيداً طبيعة المنطقة الجبلية المذكورة، كما أن جيشه افتقد التنظيم اللازم .

أما صلاح الدين الأيوبي ؛ فيتحمل مسؤولية عدم الاهتمام بعناصر الكشافة في تلك المرحلة من مراحل الصراع مع الصليبيين، كذلك كان عليه تشيد موانع حربية يمكن اللجوء إليها في حالة الخطر .

سابعاً: هناك فارق جوهري بين المعركتين من خلال إدراكنا أن معركة مركيفالون كانت لها أصداؤها الدولية الواسعة في الغرب الأوروبي حيث اهتزت مكانة الإمبراطورية البيزنطية هناك خاصة أمام الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد الإمبراطور فردريك باباروسا Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م ) حيث أرسل رسالة إلي الإمبراطور المهزوم مانويل كومنين تفيض بالاحتقار ووصفه فيها علي انه ملك اليونان Rex Grecorum وأعلن فردريك نفسه كوريث للأباطرة الرومان وكان ذلك يعني خضوع المملكة اليونانية Regnum Greciae [٣٢] .

هكذا يتضح لنا بجلاء أن تلك الهزيمة الفادحة لبيزنطة أثرت علي نحو مباشر علي ادعاءاتها حيال الغرب الأوروبي ،أما معركة تل الجزر فكانت إقليمية محدودة ولم

يكن لها تأثير علي الوزن السياسي للدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين الأيوبي نظراً لعدم وجود منافس ند له داخلياً أو تاريخياً علي نطاق منطقة الشرق الأدنى.

ثامناً: هناك فارق بين المعركتين من خلال البعد الديني، إذ أن يوم معركة تل الجزر كان يوافق يوم عيد القديسة كاترين السكندرية الذي يوافق يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام، لذا اعتقد الصليبيون أن ذلك الانتصار جاء لهم دعماً من روح تلك القديسة، وكان من اليسير انتشار ذلك الاعتقاد من خلال النفسية الجماعية العامة في العصور الوسطي الأوروبية التي شهدت تنامي الظاهرة الدينية خاصة خلال عصر الحروب الصليبية الذي شهد المواجهة الشرسة بين عالمي المسيحية والإسلام بينما كان يوم معركة مركيفالون لا تمثل أية مناسبة دينية .

-هكذا، نجد العديد من الجوانب التي يمكن من خلالها عقد مقارنة بين المعركتين المذكورتين .

ذلك عرض عن معركتي مريا كيفالون ١١٧٦م، وتل الجزر عام ١١٧٧م كدراسة مقارنة .

## الهوامش

(١) عن معركة مريا كيفالون أنظر :

John Kinnamos, The deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. Charles M. Brond, Colombia 1976,pp.146-147.

Nicetas Choniates, O, City of Byzantium, Annales of Niketas Byzantium, Annales of Niketas Choniates, Trans, Hary Mayolias,Wayne state University, Detroit 1984, pp.101- 107.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر ت. سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٩٠م، ص ٩٨٧– ص ٩٨٨.

K. Tur fan, " Recherches recent es sur la Bataille de Myriokephalon , R.I.H.M., 67, 1988,pp3- 27.

R.J.LiLie., Die Schtacht Von Myriokephalon und sein Virkung auf das Byzantinischen Rich , R.E.B., 35, 1977, W.Treadgold, A History of The Byzantine State and Society, Californig 1997,p.649.

C.Drehl, History of The Byzantine Empire, Trans. George B. Elves , Princeton 1925, p.119.

J.Hussey, The Byzantine World New York 1961,p. 66.

G.Ostronorky, History of The Byzatine state, Trans .J.Hussey , Oxford 1956,p.347.

علي عودة الغامدي، معركتي مركيفالون ١١٧٦ من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، مجلة كلية الشريعة – جامعة أم القرى، العدد الأول، العام الأول ١٤٠٩هـ، ص ١٢٣– ص ١٥٠، محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٢٨١، زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطي بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٠٠– ص

١٠١، هولت، عصر الحروب الصليبية، تاريخ الشرق الدني من القرن الحادي عشر حتى عام ١٥١٧م، ت . عادل إسماعيل هلال، ط . دمنهور ٢٠٠١م، ص ١٢٣، كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ت . أحمد الشيخ، ط. ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٩٠ جان كلود شينيه، تاريخ بيزنطة، ت . جورج زيناني، ط. بيروت، ت . رأفت عبد الحميد ،ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٦٨، أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط. بيروت ١٩٥٦م، جـ٢، ص ١٥٨، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الإسكندرية ب- ت، ص ٢٣٨، محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في آسيا الصغرى في العصور الوسطي – دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ( ١١- ١٣)، ط. الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٢٢٠ – ص ٢٢١، محمد ترحيني، معالم التاريخ البيزنطي، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ٢٤٢، محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ٢٧٢- ص ٢٧٣، شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ت . مصطفي طه بدر، ط. القاهرة ١٩٥٣م ن ص ١١١، محمد زكي الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١- ١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرةعام ١٩٨٨م، ص ١٨٤م، علي صالح المحيمين، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول .، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ٢٣٣، حاشية (١)، محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ١٨٤- ص ١٩٢، محمد صالح الزيباري، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ٤٧٠- ٦٣٤هـ / ١٠٧٧- ١٢٣٧م، ط. عمان ٢٠٠٧م، ص ٢١٦-ص ٢٢٣، ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت . السيد الباز العريني، ط. بيروت

١٩٩٣م، ص ٦١٥- ص ٦٦٦، إسحق عبيد، روما وبيزنطية، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٧٧.

محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ،ط. القاهرة٢٠٠م، ص ٣٢٦- ص ٣٢٨ نفسه، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢١١- ص ٢١٢، زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطي، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٠٠- ص ١٠١، إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص، محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين، ط. الإسكندرية ٢٠١٠م، ص ٣٣٤- ص ٣٤٨.

(٢)عن معركة تل الجزر أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق أحمد أبيش، ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ١٢١، أبو شامه، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط. القاهرة ١٢٨٧هـ، جـ١، ص ٥٧٣، ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب تحقيق جمال الدين الشيال، جـ٢، ص ٥٨- ص ٦٣، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفي زيادة، ط. القاهرة ١٩٣٤م، جـ١/ ق١، ص ٦٤، اليافعي، مرية الجنان وعبرة اليقظان ،ط. القاهرة ١٩٩٣م، جـ٣، ص ٣٩٨.وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٠٢- ص ١٠٠٥، يوشع براور، عالم الصليبيين، ت . قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة ،ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥٩، ستيفن رنسيمان، الحروب الصليبية، ت . السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٩٣م ،جـ٢، ص ٦٧٢ — ص ٦٧٣، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص ١٩٩ — ص ٢٠٠، محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦- ١٢٩١م ،ط. الإسكندرية ٢٠١١م، ص

١٢٢، رينيه جروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت . أحمد ايبش، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٧٢، محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦-١٢٩١م، ط. الإسكندرية ٢٠١١م، ص ١٢٢، محمد مؤنس عوض ،في الصراع الإسلامي – الصليبي ( معركة أرسوف ١١٩١م / ٥٨٧هـ )، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٥نفسه، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٢٦، نفسه، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م، ص ٢١١، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ،ط. بيروت ١٩٨٦م ن ص ٤١٢، يوسف درويش غوانمه، إمارة الكرك الأيوبية، ط. عمان ١٩٨٢م، ص ١٢٠، خليل عنامنة، فلسطين فيالعدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧- ١٥١٦م ) ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٧٥، سعيد عاشور، الحركة الصليبية في العصور الوسطي، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٣٦.

P.lauran ,Saladie A man For ages, London 1974,pp-99.

(٣)محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، ص ١٨١.

(٤) نفسه، نفس الصفحة .

(٥) نفسه، نفس الصفحة، وعن آسيا الصغرى جغرافياً وتاريخياً أنظر : عثمان نوران، الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، ت . علي عودة الغامدي، ط. الرياض ١٤١٨هـ .

نعيمه إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م .

(٦) محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، ص ١٨٦- يلاحظ أن كلمة مركيفالون تعني ألف رأس ومما يذكر ان الآلاف من البيزنطيين قتلوا ! في ذلك ! في ذلك الموقع أكثر من مرة، عن ذلك أنظر : محمد مؤنس عوض،

الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٢٦، حاشية (٤) .

(7)محمد صالح الزيباري، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ٤٧٠-٦٣٤هـ / ١٠٧٧-١٢٣٧م، ط . عمان ٢٠٠٧م، ص ٢١٩.

(٨) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت . السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٩٣م، جـ٢، ص ٦٦٥ – ص ٦٦٦.

(٩) P.Magdaline The Empire of Manuel I of comnenos , 1143- 1180, Cambridge .1997,p.93.

وعن معركة مانزكرت أنظر :

ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص ٤٠ –ص ٤٢، اليزدي، العراضة في الحكاية السلجوقية، تحقيق عبد المنعم محمود، بغداد ١٩٧٩م، ص ٤٧.

Psellus, Chronographia ,in S.A shoua aand H. Rabie, Fifty docunents in Medieval History, Cairo 1971,pp. 58-60.

C.Cahen la Compagne de Mantzikert d,après des Sources Musuluans, B.IX, pp.613-642.

A.Friendly, The dread Ful day, The Battle of Manzikert, 1071, London 1981.

J.France, Victory in The East amilitary History of The First Crusade, Cambridge 1996,pp152- 153.

اسمت غنيم ،معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسيللوس، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨١م، محمد نايف العمايرة ومحمود الرويضي، معركة ملاز كرد جانب من العلاقات السلجوقية – البيزنطية ( ذو القعدة من ٤٦هـ / آب ١٠٧١م)، المنارة للبحوث والدراسات، م (١٣)، العدد (١) ذو القعدة ١٤٢٨هـ / آذار

٢٠٠٧م، ص ٥٩- ص ٦٣، محمود سعيد عمران، الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجنيس ١٠٦٨- ١٠٧١في ضوء حولية ميخائيل بسللوس، ضمن كتاب بحوث في مصادر العصور الوسطي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٨م، ص ١٩٨- ص ٢٠٢، فايز نجيب إسكندر، البيزنطيون والسلاجقة في معركة ملازكرد ١٠٧١- ٤٦٣هـ في مصنف نقفور برينيوس – دراسة مقارنة للمصادر، ط. الإسكندرية ١٩٨٤م – ص ١٠، آمال حسن، معركة مانزكرت ١٠٧١- ٤٦٣هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، الرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض عام ١٤٠٣هـ، سهيل زكار، المدخل إلي تاريخ الحروب الصليبية، ط. دمشق ١٩٨١م، ص ١٤٥، ص ١٥١، أرشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥- ٥٧٠هـ، ط . الرياض ١٩٨٨م . ص ٥١- ص ٥٤، محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٠٤- ص ٣٠٩، أحمد الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ٣٣ – ص ٣٥، سعيد عاشور العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، ط. بيروت ٣٠٠٣م، ص ٤٤.

(١٠)محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطى- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ( القرن ١١- ١٣م )، ط. الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٢٢٦ .

(١١)محمد صالح الزبياري، سلاجقة الروم، ص ٢١٦ .

(١٢) نفسه، ص ٢٢١.ت قاهرة .

(١٣) نفسه، ص ٢٢٠.

(١٤) C.E., III ,ed .A.v Murray , Oxford 2006,p.848.

القديسة كاترين السكندرية St.Catherine of Alexandria، عاشت في فجر المسيحية، وكانت تدين بالوثنية، ثم اعتنقت المسيحية واخذت تدعو لها علي نحو أفزع الوثنيين وضايقوها إلي ان انتهي الأمر باستشهادها ،وقد اقام لها الإمبراطور البيزنطي جستينيان Justinion في جنوبي سيناء ( ٥٢٧- ٥٦٥م ) ديراً لها حوالي منتصف القرن السادس م، وثم نقل رفاتها إلي هناك، وقد نسجت حولها أسطورة، ويوافق عيد ها ٢٥ نوفمبر .

عنها أنظر :

D.Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, London 1978, pp.209-210.

حسن مظهر، تاريخ دير القديسة كاترين، مجلة السياحة المصرية، العدد (١١٦)، عام ١٩٦٦م ،ص ١٩-ص ٢٦، جوزيف نسيم يوسف، سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطي، المؤرخ العربي، العدد (٤) عام ١٩٧٧م، ص ٩٨- ص١٢٢، نفسه ،دراسات في تاريخ كتاب جوزيف العصور الوسطي ،ط. الإسكندرية ١٩٨٨م، ص ١٢٧، حاشية (٢) نقولا زيادة، الرحالون المسلمون والأوروبيون إلي الشرق العربي فيالعصور الوسطي، ط. بيروت ٢٠١٠م، ص ١٤٩، ص ١٥٠ .

(١٥) عن الرملة أنظر :

H.E.ياقوت، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٧م، م(٢)، ص ٤٢١، ص ٤٢٢

Mayer, Carving up Crusaders, The Early Ibelins and Ramla ", in Oufremer Studins and in The History of Crusading Kingdom of Jerusalem ,et . B.Z. keder , H.E.Mayer and R.c. Smail, Jerusallem 1982,pp.101-118.

Id,The Origins of The Lordships of Romla and ludda in The latin kingdom of Jervsalm, S., 60, 1985 ,pp537-552.

مرمرجـــي الـــدومنيكي بلدانيـــه فلســـطين العربيـــة، ط. بـــيروت ١٩٨٧م، ص ١٣٧- ص ١٤٤، صادق جودة، مدينة الرملة نشأتها –حتى عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ن ط. بيروت ١٩٨٦م .

(١٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٢١.

محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦- ١٢٩١م، ط. الإسكندرية ٢٠١١م، ص ١٢٢.

(١٧) خليـــل عثمانيـــة، فلســـطين في العهـــدين الأيـــوبي والمملـــوكي (١١٨٧-١٥١٦م)،ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٧٥.

(١٨) عن شبه جزيرة سيناء أنظر :

نعوم شقير تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، ط. القاهرة ١٩١٦م، عباس عمار، المدخل الشرقي لمصر ،ط. القاهرة ١٩٤٦م، رفعت الجوهري، سيناء أرض القمر، ط. القاهرة ١٩٦٥م، أحمد رمضان، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٧٧م ن يسرية عبد العزيز حسني، المدخل الشرقي لمصر دراسة في مواقع آثار شمالي سيناء، طز القاهرة ٢٠٠٣م .

جوزيف نسيم يوسف، سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطي، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١٤)، عام ١٩٧٧م، ص ٩٨-١٢٢.

(١٩) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٢١.

(٢٠) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٠٤.

(٢١) نفسه، ص ١٢١.

(٢٢) عن معركة البقيعة أنظر :

ابن الأثير، الباهر، ص ١٣٧- ص ١٣٨، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٥٤م، جـ٢، ص ٣١٢-ص ٣١٣،

William of Tyre ,A History of deeds done beyond The Sea, Trans. E.A Babcock and A.C.krey, New York 1943, VoI. Ii, p.306. Michel le Syrien, Chronique, ed . Chabot , paris 1903, p.324.

J.Richard, la Comte de Tripoli sous la Dynastia Toulousaine, paris 1945,p.21

عبد العزيز عبد الدايم، غمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ٨٩ محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي – الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٤م، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٨٠- ١٨١، علي الصلابي، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي، شخصيته وعصره، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٢٨٤.

(٢٣) خليل عثمانية، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص ٧٥.

(24)C.E., III ,p.848

(٢٥) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٦٧٣.

(٢٦)ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٢١.

(٢٧) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩- ٢٠٠٠م، ص ٢١١، نيكتيا اليسيف، المملكة اللاتينية في القدس والحكام المسلمون في القرن الثاني عشر للميلاد خطوط كبري للعلاقات السياسية، ضمن كتاب الصراع الإسلامي – الفرنجي علي فلسطين في القرون الوسطي، تحرير هادية دجاني – شكيل وبرهان الدجاني، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٢٩٣.

(٢٨) أبـو شـامة، الروضـتين في أخبـار الـدولتين النوريـة والصـلاحية، ط. القـاهرة ١٢٨٧هـ، جـ ١، ص ٥٧٣، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص ٢٠٠.

(٢٩) من الممكن للقارئ الافادة من هذه الدراسة المتخصصة وهي وأن مرت عليها أعوام عديدة إلا انها مفيدة تماماً في موضوعها :

محمود رزق محمود، العلاقة بين إرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركـة حطـين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، كليـة الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م .

(30)William of Tyre , Vol Ii ,pp 426- 431.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٧، الحويري، مصر في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٩٩.

(٣١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ط. القاهرة ب.ت ،جـ١١، ص ٤٤٣– سحر السـيد عبـد العزيـز سـالم، دراسـات في تـاريخ مصـر في العصـرين الأيـوبي والمملوكي ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ٩٣ .

(٣٢) هس، العالم البيزنطي، ص ١٦٨.

# العدوان الصليبي علي الحجاز
# في العصرين الأيوبي– أضواء جديدة
# علي حملة ١١٨٢– ١١٨٣م

# العدوان الصليبي علي الحجاز
# في العصر الأيوبي – أضواء جديدة
# علي حملة عام ١١٨٢– ١١٨٣م

يتناول هذا البحث بالدراسة الحملة الصليبية التي شنتها مملكة بيت المقدس الصليبية علي الحجاز عام ١١٨٢/ ١١٨٣م (١)، وليستعرض الجانب الجغرافي، ثم دوافع تلك الحملة، وتطورها وموقف الأيوبيين منها ثم فشلها والنتائج المتعددة التي نتجت عنها واثرها علي قضايا الصراع الصليبي – الإسلامي حينذاك .

و الواقع أن المتصدي للبحث المذكور يواجه عدة مصاعب يكمن إجمالها علي النحو التالي :

أولا : ندرة المصادر الصليبية التي تناولت موضوع الحملة المذكورة، فإستثناء الفارس إرنول Ernoul الذي أشار غليها علي نحو موجز، لا تجد مصادر اخرى معاصرة تناولتها بالذكر المفصل، وحتى وليم الصوري William of Tyre وهو المؤرخ الرسمي المعاصر لأحداثها لم يتناولها بكلمة واحدة !! ولا تعليل لذلك سوى عدائه للفارس الصليبي رينو دي شاتيون Renauld de Chatillon[٢] المعروف في المصادر العربية باسم أرناط ،و هو أمر يتضح لنا عندما نتناول أسره من جانب الدولة النورية فأشار إلي آثامه والجرائم التي ارتكبها، وربما كان لفشل تلك الحملة أثره في أن جعل مؤرخ الصليبيين الأول يتحاشى ذكرها علي حين كان من المفترض أن يقدم التفاصيل المسهبة عنها في حالة نجاحها، ولا نغفل هنا انه فعل ذلك مع إلحاق الصليبيين الهزيمة بالجيش الأيوبي بقيادة صلاح الدين في معركة تل الجزر Montgisard عام ١١٧٧م في عهد الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٤–

١١٨٥م) الذي شهد عهده احداث حملة ذلك الفارس الصليبي علي الحجاز واخفاقها .

ثانيا :إن المؤرخين الفرنسيين المحدثين مثل شلومبرجيه G.Schlumberger ومن سار علي طريقه، وألفوا مؤلفاتهم في النصف الأول من القرن العشرين، في وقت كانت هناك أملاك استعمارية لفرنسا في المغرب العربي وغيره، وقد ألقوا مؤلفاتهم في النصف الأول من خلال روح صليبية استعلائية غزتها المركزية الأوروبية، وأراد ذلك الفريق من المؤرخين الفرنسيين البحث عن نموذج للبطولة الفرنسية في العصور الوسطي، فكان رينودي شاتيون فعملوا علي إبراز دوره وتصديره علي نحو بطولي – علي الرغم من أن الرؤية الموضوعية تنفي ذلك عنه حتى إذا ما نظرنا إلي تصور المؤرخين الإنجليز خصومهم التاريخيين الذين صوره كلص قاطع طريق – وبالتالي فإن تلك الكتابات قدمت تفصيلات عديدة كان منها ما هو نج خيالهم، خاصة أن المصدر الصليبي الوحيد هو الفارس إرنول، ويضاف إليه المصادر العربية المعاصرة للأيوبيين وتلك الحملة علي نحو خاص ولذا علينا تجنب ما دون ذلك من إشارات لا تعتمد علي نصوص تاريخية معاصرة ثالثا: تناول العديد من الباحثين الأوروبيين والعرب المحدثين حملة ذلك الفارس الصليبي من خلال منهج بحث تاريخي يقوم علي السرد والوصف اعتماداً علي مؤلفات تاريخية مصدرية ومرجعية صرفة، دون الإفادة من علم النفس Psychology خاصة في فرعه الحربي وتحديداً علم النفس الأسري، إذ من المنطقي التعرض لتلك الحملة – الغير مسبوقة تخطيطاً وتنفيذاً – دون التعامل مع رينو دي شاتيون كفارس صليبي متعصب أمضي في أسر المسلمين (١٦) عاماً، وبالتالي فإن ذلك المجال فإن ذلك المجال من الدراسات النفسية يقدم لنا الأضواء الكاشفة التي تعيننا علي فهم عقلية ونفسية ذلك

الفارس الذي حركته " عقدة الأسر " وهو امر يتشابه مع الملك الفرنسي لويس التاسع Louis IX ( ١٢٢٦- ١٢٧٠) عندما اتجه إلي القيام بحملة علي تونس عام ١٢٧٠م تنفيساً عن عقدة أسره في دار ابن لقمان بعد هزيمته في المنصورة عام ١٢٥٠م تجدر الإشارة إلي أن النطاق الجغرافي الذي حدثت فيه تلك الحملة تمثل في البحر الأحمر Red Sea[٣] الذي يعد جزءً من الأخدود الأفريقي العظيم [٤]، وهو أحد المظاهر البارزة التي أصابت القشرة الأرضية في العصر الكانيوذي، وبضم البحر الأحمر، وخليج العقبة ووادي عربه، والبحر الميت، ونهر الأردن، وبحيرة طبرية .

يبلغ طول البحر الأحمر من السويس إلي باب المندب (٢٢٤٠) ك.م، كما أن عرضه في أوسع جهاته يبلغ (٣٥٠) ك. م، وتسميته بالأحمر ترجع إلي الإغريق الذين أسموه بذلك نسبة للشعب المرجانية التي تكثر فيه، وقد اطلق عليه العديد من الأسماء لدي المسلمين مثل بحر القلزم، وبحرة جدة، وبحر الحجاز والبحر الفرعوني، وبحر اليمني، وبحر عيذاب .

لقد تميز البحر الأحمر بموقعه الجغرافي الفريد عند التقاء قارات العالم آسيا وأفريقيا وأوروبا وشكل حلقة اتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندي، لذلك تصارعت عليه القوى الدولية منذ أقدم العصور حتى تاريخنا المعاصر، لذلك لا يكتب تاريخ العلاقات الدولية دون تناول تاريخ ذلك البحر ذو الموقع الاستراتيجي الحيوي.

واقع المر، يدل تاريخ الحركة الصليبية علي مدي القرنين ١٢، ١٣ علي أن هناك ثلاثة بحار كان لها دورها البارز في تاريخ الصراع بين الشرق والغرب في العصور الوسطي في صورة البحر المتوسط Mediterranean Sea ؛ وهو المجال الحيوي الأصلي لها من خلال وجود فرنسا في طرفه الغربي وهي أم الحروب الصليبية وكذلك المدن الإيطالية التجارية مثل جنوة وبيزا والبندقية والتي سهل عليها الامتداد فيه، ثم

البحر الحمر وهو موضوع دراستنا، وبحر البلطيق Baltic Sea الذي وقفت عليه ألمانيا والذي ظهر دوره علي نحو بارز من خلال نشاط فرسان التيوتون Teutonic Knights خلال المرحلة ١٢٢٦- ١٤٦٦م اغفال دورهم في بلاد الشام بطبيعة الحال خاصة علي امتداد القرن ١٣م .

هكذا، يتأكد لنا أن تاريخ الحروب الصليبية قد شمل كلاً من النطاقين البري والبحري، ولا يمكن فصل أحدهما علي الآخر، وأن استأثر البحر المتوسط – علي نحو خاص – بالنصيب الأوفر من ذلك التاريخ علي كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية أما البحر الأحمر ؛ فقد كان تاريخه حينذاك ذا طابع اقتصادي تجاري، ولم يتصف بالطابع العسكري إلا في الحالة الاستثنائية التي يدرسها هذا البحث عام ١١٨٣م .

بصفة عامة، فإن الحملة المذكورة لا تدرس إلا من خلال تسليط الأضواء الكاشفة علي قائدها رينو دي شاتيون Renauld de Chat ilion ، وهو فارس صليبي انتسب إلي نفس المنطقة التي ولد فيها البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٩- ١٠٩٩م )الذي دعا للحروب الصليبية في مجمع كلير مونت بفرنسا في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م، وقد قدم إلي الشرق كي يشارك في ذلك المشروع الذي جذب إليه عدداً كبيراً من المغامرين الباحثين عن المال، والنفوذ السياسي وقد قدم إلي بلاد الشام في معية الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII ( ١١٣٧- ١١٨٠م ) وارتبط بخدمة الأمير الصليبي ريموند دي بواتيه Raymond de Poitiers(١١٣٦- ١١٤٩م ) أمير انطاكية، وبعد أن توفر، تزوج رينو دي شاتيون أرملته كونستانس constance d,Antioch عام ١١٥٣م [٨] وبالتالي سيطر علي تلك الإمارة التي عرف عنها ثرائها وفي عام ١١٥٦قام بغزو جزيرة قبرص Cyprus [٩]وارتكب فيها ومعه جنوده المذابح وأعمال السلب والنهب

وتعرض للنساك في الصوامع بالتشويه علي نحو دل علي أننا امام شخص مصاب بالسادية يعشق سفك الدماء والسلب والنهب وقد تعرض رينو دي شاتيون إلي الأسر من جانب الدولة النورية خلال الأعوام الممتدة ١١٦٠إلي ١١٧٦م ،وخرج منها وقد ملأت الرغبة في الانتقام قلبه، ومن المؤكد أن تلك الأعوام الطويلة لم تقض علي روح القتال والانتقام لديه، بل زادته إصراراً علي قتال المسلمين بشراسة كرد فعل عكسي لما أصابه خلال أعوام الأسر الطويلة دون أن يدرك التغيرات السياسية في الأسر في صورة اسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م .

من خلال الحلف العباسي – النورية وتنفيذ صلاح الدين الأيوبي، ومن بعد ذلك وفاة نور الدين محمود عام ١١٧٤م، واتجاه السلطان الأيوبي إلي توحيد دمشق مع القاهرة لأول مرة منذ عقود طويلة عام ١١٧٤م، وبالتالي ؛ امكن للمسلمين خلق جبهة قوية لها شانها علي نحو كان له اكبر أثر في قلب موازين القوى بين المسلمين والصليبيين لصالح الأولين جدير بالذكر، سعي ذلك الفارس الصليبي من مركزه الحصين الاستراتيجي في الكرك إلي مهاجمة قافلة تجارية كانت متجهة في الطريق من دمشق إلي مكة وقد ظفر بها عند تيماء التي وصفت بانها " دهليز المدينة "و قام بنهبها عام ١١٨١م، بل انه اتجه إلي المدينة المنورة واراد نهب المسجد النبوي وما فيه من كنوز وذخائر، إلا أن نائب صلاح الدين في دمشق حينذاك وهو ابن اخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب جمع جنداً وسار بهم علي وجه السرعة إلي غمارة الكرك وقام بنهب كافة ما في طريقه، وعندما علم ذلك المير الصليبي بذلك بادر مسرعاً بالعودة إلي الكرك وقد حمل الأسرى والأسلاب التي حصل عليها [١٠] .

ومن الجلي البين أن حملة عام ١١٨١م، كانت المقدمة الحقيقية لحملة ١١٨٢/ ١١٨٣م، بحكم التتابع الزمني وقد زاد أمل هذا الفارس الصليبي في ان تنجح حملته الجديدة بعد اخفاق السابقة .

واقع الأمر علينا دراسة أهداف رينو دي شاتيون للقيام بتلك الحملة ١١٨٢- ١١٨٣م، وتتمثل في الآتي :

أولا : محاولة فرض نوع من السيطرة الصليبية علي البحر الأحمر من خلال احتلال ايله ( العقبة ) علي الخليج الذي يحمل اسمها، وكذلك عيذاب ذات الموقع الحيوي في حركة الحج الإسلامية علي الضفة الغربية للبحر الأحمر وارتبط برحلات الحجاج المسلمين من بلاد المغرب وصولاً إلي الحجاز من خلاله كذلك مثل أهمية بارزة في مجال تجارة التوابل Spices، كما لا نغفل الرغبة في احتلال جدة ورابغ علي ساحل الجزيرة العربية وصولاً إلي المحيط الهندي وبالتالي الغزاة من توسيع نطاق عملياتهم العسكرية ونفوذهم السياسي إلي مناطق غير مسبوقة في تاريخ الصراع الصليبي – الإسلامي .

ثانيا: قطع طريق الحج الإسلامي ودخول المدينة المنورة وإخراج رفات الرسول صلي الله عليه وسلم ونقله إلي الكرك لتحويل طريق الحج إلي هناك، وبالتالي يتم ضرب المسلمين في أقدس مقدساتهم الدينية علي نحو يزلزل مكانة الدولة الأيوبية التي كانت دعايتها السياسية تتجه دوماً إلي القول بأنها حامية الماكن المقدسة الإسلامية نيابة عن الخلافة العباسية في بغداد .

ثالثا: إقناع مملكة الحبشة المسيحية بأن مملكة بيت المقدس الصليبية لديها القدرة العسكرية والسياسية علي تغيير خريطة المنطقة وأن التحالف معها يؤدي إلي حصار المسلمين من الشمال والجنوب [١١].

ولا ريب في أن تعدد تلك الأهداف يدل دلالة وضاحة علي أن الغزاة كانت لديهم الأطماع المتعددة في المنطقة من خلال دوافع سياسية واقتصادية، ودينية متعصبة، ولا يتأتى لهم كل ذلك إلا من خلال سلاح المعلومات، حيث عرفوا كافة المواقع الجغرافية التي ستشهدها حملة أرناط المذكورة، وذلك من خلال التجار،

والجواسيس، والخونة من الأعراب الذين كانوا شوكة في جنب الدولة الأيوبية كما اتضح لنا من قبل خلال معركة تل الجزر عام ١١٧٧م .

رابعاً : الرغبة في تحقيق انتصار عسكري بحري غير مسبوق يقلب موازين قوى الجغرافيا السياسية في المنطقة لصالح الصليبيين علي الدولة النورية في موقع جديد لم يُعهد من قبل، علي نحو يؤدي إلي دعاية سياسية بارزة لمملكة الصليبيين في الشرق بصورة تؤدي إلي تقدم المزيد من المتطوعين والحجاج إليها وتدفق الأموال الطائلة دعماً لميزانيتها في مواجهة المسلمين وهو أمر كان يحدث عقب كل انتصار عسكري صليبي بارز .

يلاحظ هنا أن الانتصار البري الذي حققه الصليبيون علي الأيوبيين بقيادة صلاح الدين عام ١١٧٧م، وشارك رينو دي شانيون شخصياً فيها، جعله يتصور أن من الممكن اعادة الكرة انتزاع انتصار عسكري آخر بحري هذه المرة ضد ذلك السلطان بعد (٦) أعوام من المعركة الأولي .

ومن المفترض أن مثل تلك العمليات العسكرية في نطاق البحر الأحمر هدفت – فيما هدفت – إلي القضاء علي ذلك السلطان ونفوذه السياسي المتنامي بمهاجمة في جبهة بحرية أبعد ما تكون عن التصور وغير مسبوقة وبالتالي تصور القائمون عليها أن الانتصار سيكون حتماً حليفاً لهم – خاصة مع انشغال صلاح الدين الأيوبي بعملياته العسكرية في شمالي العراق خلال صراعه المرير مع العناصر الزنكية، وهكذا يتضح لنا ان الصليبيين استغلوا فرصة ابتعاد ذلك السلطان عن مصر للقيام بمهمته إمعاناً في ارباك الدولة الأيوبية ومن المفترض – منطقياً – معرفتهم الدقيقة بأخباره وتحركاته العسكرية واستفادتهم من ذلك من اجل القيام بالعملية المذكورة .

خامسا: الرغبة الشخصية الجامحة لدي رينو دي شاتيون في الثأر من المسلمين الذين أسروه طوال الأعوام السابقة، وبالتالي فإن تلك الناحية تنل ما يشبه العقدة

المدمرة لذلك الأمير الصليبي وقد جعلته يقدم علي أعمال عسكرية متهورة ومندفعة جنت الدمار علي مملكة بيت المقدس الصليبية سواءً فيما يتصل بحملة عام ١١٨٢/ ١١٨٣م علي الحجاز وكذلك أسر القافلة المسلمة فيما يقدر ١١٨٧م علي نحو أدي إلي اشعال شرارة حرب التحرير الأيوبية ضد الصليبيين وحدوث معركة حطين الفاصلة ١١٨٧م .

والواقع أن كافة تلك العوامل أدت إلي القيام بتلك الحملة المفاجئة للمسلمين في البحر الأحمر والحجاز، ومن الخطأ تصور أن الأمر كان مجرد عمل عسكري خاص بإمارة ذلك المير الصليبي، بل أن الحملة كانت تعبر عن مطامع مملكة بيت المقدس الصليبية وحشد الصليبيون لها إمكانات دولة كاملة وليست بورود أمير صليبي في إمارة كإمارة شرق الأردن .

هكذا، وجدت العديد من العوامل الدافعة لذلك الأمير الصليبي ومن ورائه المملكة اللاتينية في بيت المقدس للقيام بتلك الحملة علي الحجاز، والأمر المؤكد أن الصليبيين امتلكوا معلومات دقيقة عن المواقع الجغرافية التي ستهاجمها الحملة خاصة أنها لم تكتف بالجانب الشرقي من البحر الأحمر، بل والغربي كذلك في وقت متزامن من اجل تشتيت اهتمام الأيوبيين عن الهدف الأصلي لها، وبدون قاعدة المعلومات المذكورة ؛ ما كان لهم القيام بها بمثل تلك الصورة التي أوردتها المصادر، وفي تصوري أن الحملة المذكورة أكدت تفوق الاستخبارات الصليبية حينذاك وأن لم يضمن ذلك التفوق لها النجاح في النهاية .

كذلك لم يفت الصليبيون أن يكون توقيت الحملة في فصل الشتاء من أجل تجنب حرارة الصيف، وكذلك حلول موسم الحج من اجل الاستفادة من الكثافة العددية للمسلمين حين ذلك في اضعاف قدرات الدولة الأيوبية في مواجهة تلك

الحملة كما تصوروا – في حالة نجاحها – أن تكون بمثابة دعاية سياسية كبرى للصليبيين ونشر الرعب لدى أوسع نطاق إسلامي .

كذلك اتجه الصليبيون إلي التعاون مع عناصر البدو من قبائل جزام وبني ثعلبة المرتزقة الذين كانوا علي استعداد لتقديم العون لهم خاصة في الجانب المعلوماتي الجغرافي في مقابل المال، وقد أدرك الغزاة أهمية تلك العناصر التي سكنت المناطق الحدودية والتي كانت غير خاضعة تماماً لسيطرة الدولة الأيوبية، ومن المفترض أن الصليبيين من قبل قيامهم بحملة عام ١١٨٢م/ ١١٨٣م اجروا اتصالات مع أولئك البدو حتى يضمنوا مساعدتهم ولم يكن الأمر من قبيل المصادفة نظراً لإدراكنا – من خلال الشواهد التاريخية العديدة عصر الحروب الصليبية – أنهم كانوا يخططون بدهاء ولم يتركوا شيئاً للمصادفة من خلال خبرتهم الاستعمارية – أي الاستدمارية – بالمنطقة التي كانت قد امتدت أكثر من ثمانية عقود أن خطورة الدور البدوي هذا تمثل في وجود البدو علي أرض الإسلام دون أن يكون لهم ولاء لأي دين أو سلطة قائمة بل المال والمال وحده !! وهو أمر استثنائي في عصر تكاتف فيه الجميع ضد الغزو الصليبي الآثم .

هكذا، قامت المملكة الصليبية متمثلة في ذلك الأمير الصليبي بالأعداد جيداً لتلك الحملة، فقطع نخيل منطقة العريش لصنع هياكل السفن من أخشابها وقام بتجربتها في البحر الحمر [١٢] ،– كما اعتقد البعض –، إلا أن ذلك التصور جانبه الصواب لأمر يسير وهو أن العريش لم تكن خاضعة لسيطرته العسكرية والسياسية، والأرجح أن ذلك حدث من مناطق خاضعة له مثل الكرك، وكذلك عناصر صليبيه في عسقلان شاركن في صناعة السفن المهاجمة .

بصفة عامة، تم تشييد مراكب متوسطة الحجم حتى تتمكن من حمل الجنود الصليبيين وآلاتهم [١٣] وكذلك المناورة البحرية في حالة تعرضها لأية قطع بحرية أيوبية معادية .

و من المهم هنا العودة إلي النص الصليبي الوحيد الذي أورده المؤرخ ارنول فيما يتصل بتلك الحملة وهو كالآتي " علي شاطئ هذا البحر (الأحمر ) أمر الأمير رينو بصنع خمس شواني Galies وعندما تم الانتهاء منها انزلت إلي البحر وشحنت بالفرسان والجنود واللحوم الكافية وذلك لكي تبحر في هذا البحر وتعرف أي نوع من الشعوب يسكن علي شواطئه وأبحرت بعد ان تجهزت متجهة إلي عرض البحر، وبعد رحيلها لم يسمع عنها شيئاً ولم يعرف أحد مصيرها [١٤] .

الواقع أن النص المذكور، يدل بجلاء علي عدم معرفة حقيقية باللغة المذكورة، ويجعلها تتجه إلي المصادر الإسلامية المعاصرة واللاحقة من أجل تعويض نص المادة التاريخية لدي الجانب الصليبي، خاصة أن ارنول بذكراتها مجرد حملة استكشافية، علي نحو يفقد الحملة هدفها العسكري الذي أكدته العديد من المصادر الإسلامية المعاصرة واللاحقة .

تجدر الإشارة إلي أن أهم ما ورد في رواية ذلك المؤرخ الصليبي تمثلت في نوعية السفن، إذ أن تعبير Galies هو المقابل للجلاب [١٥]، ومفردها جلبه، واستخدمت علي نحو خاص في البحر الأحمر وهي لاٌ يستخدم في صنعها مسامير ويتم ربطها بخيوط قشر جوز النارجيل وتدهن بدهن الخروع أو القرش حتي لا تعبر لينه [١٦]، وقد اشار إليها ابن جبير في رحلته [١٧] بصفة عامة، اتجه الصليبيون إلي مهاجمة جزيرة فرعون [١٨] Lle de Graye التي تمتعت ر بموقع استراتيجي حيوي حيث حرست المدخل المؤدي إلي البحر الحمر والذي يمر من العقبة إلي سيناء ومصر، والجزيرة العربية من الجنوب [١٩] .

وضع رينو دي شاتيون مركبين عند الجزيرة المذكورة لمواجهة أي دعم أيوبي لأهلها، كما وجه قواته إلي تبوك لمنع وصول أي دعم عسكري .

كذلك اتجهت سفنه إلي مهاجمة ميناء عيذاب المصري الواقع علي الساحل الغربي للبحر الأحمر قرب الحدود بين مصر والسودان، وقد ساد الاعتقاد بان عيذاب وقعت عند برنيس القديمة في مقابل اسوان، إلا أن تيودور بنت Theodore Bent توصل بعد رحلته التي قام بها في اخريات القرن التاسع علي بعد ١٨ ك.م شمال شرقي حلايب وعرفت عيذاب عند البدو البشارية باسم سواكن القديمة [٢٠]

وهناك من يقرر أن ذكر عيذاب بدأ في المصادر التاريخية منذ القرن العاشر م، إلا أن النشاط التجاري لم يظهر بصورة وضاحة إلا خلال العصر الفاطمي حيث أنها حلت محل ميناء القصير القديم، ثم أخذ دورها في الانحسار في أوائل القرن ١٥م [٢١]، ولدينا اشارة من الرحالة الفارسي ناصر خسرو من القرن ١٠م، حيث ذكر أن عيذاب كان يتم فيها تحصيل المكوس أو الضرائب المفروضة علي حركة التجارة علي السفن الوافدة من اليمن، وزنجبار، والحبشة، وقد قرر أنها من أحفل مراس الدينا بسبب مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع بالإضافة إلي المراكب التي تحمل الحجاج إلي الحجاز عبر البحر الحمر [٢٢] .

أما المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري فذكر منها ما نصه : أن كل ما تحتاجه بلاده من أنواع التوابل والجواهر والتحف الشرقية والمصنوعات الأجنبية انما يرد من بلاد الهند وسبأ وبلاد العرب والحبشة والسودان من فارس وغيرها من البلاد المجاورة لها، حيث يتم نقل كل هذه السلع إلي صعيد مصر عبر البحر الأحمر الذي يعد المنفذ لهذه الشعوب إلينا، ثم تفرغ السفن حمولتها في عيذاب [٢٢] .

وقد ازدهر أمر عيذاب في تجارة البحر الأحمر خاصة التوابل Spices[٢٤]— التي كان العالم يلهث عليها خاصة أوروبا — ولدينا شاهد عيان علي ذلك في صورة

ما أورده ابن جبير الذي أشار إلي أهمية دورها التجاري في المجال المذكور [٢٥]، وقد زاد دورها في ظل الصراع الصليبي – الإسلامي عندما تمكن الصليبيون منذ وقت مبكر في عهد الملك الصليبي المؤسس بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠- ١١١٨م ) من الاستيلاء علي أيلة ( العقبة ) عام ١١١٦م علي رأس خليج العقبة؛ فتحولت التجارة في قسم مهم منها إلي عيذاب، كما أن حركة الحج الإسلامي إلي الحجاز ارتبطت بها حيث قدمت أعداد غفيرة من الحجاج المغاربة إليه من أجل عبور البحر الحمر وصولاً إلي البقاع الإسلامية المقدسة نظراً لكون عيذاب أقرب الموانئ المصرية إلي جدة .

يلاحظ ان صلاح الدين الأيوبي تمكن من إخضاع ايلة عام ١١٧٠م قبل عام من اسقاط الدولة الفاطمية وبالتالي استفاد من موقعها الاستراتيجي ودعم بالسيطرة علي اليمن، فاخضع البحر الحمر من الشمال والجنوب وسخر كافة تجارة الهند والصين عبر ذلك البحر لخدمة نضاله ضد الصليبيين [٢٦] علي نحو اكد وجود قاعدة مالية قوية دعمت الانفاق الحربي ضدهم .

بصفة عامة، خلال الحملة الصليبية المذكورة عام ١١٨٣م، انفصل منها لمهاجمة عيذاب – من المنطقي تصور ان ذلك القسم لم يكن فيه ارتباط شخصيا – وقد أشار ابن جبير إلي ما أحدثه الصليبيون هناك من خلال النص التالي القوي الدلالة حيث قال : " انتهوا إلي بحر القلزم فاحرقوا فيه نحو ستة عشر مركباً، وانتهوا إلي عيذاب فأخذوا منها مركباً كان يأتي بالحجاج من جدة، واخذوا أيضاً في البر قافلة كبيرة تأتي من قوص إلي عيذاب، وقتلوا الجميع ولم يحيوا احداً، واخذوا مركبين كانا مقلين بتجار من اليمن، وأحرقوا أطعمة كثيرة علي ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة أعزهما الله، وأحدثوا [٢٧] حوادث شنيعة لم يُسمع مثلها في الإسلام".

وتدل تلك الإشارة المركزة علي أن الصليبيين مارسوا السلب والنهب والقتل والاغتصاب في اهالي عيذاب من أجل بث الرعب في النفوس معني يشعر من فر من ذلك المصير بعدم وجود سلطة أيوبية في تلك المنطقة النائية الواقعة جنوب شرقي مصر علي ساحل البحر الأحمر .

كما تشير عبارته " قتلوا الجميع ولم يحيوا أحداً إلي الطابع الدموي والتطهير العرقي الذي مارسه الصليبيون هناك، وكأنهم يعيدون إلي الأذهان المذبحة التي ارتكبها الصليبيون في مدينة بلبيس [٢٨] عام ١١٦٩م خلال غزو الملك الصليبي أمالريك الأول Amalrit I (١١٦٣- ١١٧٤م )، وبالتالي تأكد لنا أن مصر واجهتخلال ذلك العصر مذبحتين في بلبيس وفي عيذاب بصورة كشفت بينهما فارق زمني بلغ (١٧) عاماً فقط بصورة كشفت عن الطابع الدموي للحركة الصليبية التي وضح للجميع مدى تعصبها ضد كل ما هو غير مسيحي كاثوليكي وبالتالي لا يكتب تاريخ الصليبيين في الشرق دون مذابح وسفك الدماء .

لا نغفل ناحية مهمة اخرى تتمثل في أن الصليبيين هدفوا من هجومهم علي عيذاب اشغال الأيوبيين عن الهدف الأصلي للحملة في صورة مهاجمة الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز خاصة المدينة المنورة واخراج رفات الرسول صلي الله عليه وسلم مما دل علي دهاء التخطيط والتنفيذ من جانب الغزاة الذين حركهم التعصب الأعمى ضد المسلمين ورسولهم الكريم، ويلاحظ أن ذلك الأمر ظل لدى الغرب الأوروبي طوال العصور الوسطي حتى العصر العثماني، حيث جعل العثمانيون البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة في وجه القوى البرتغالية المتعصبة حينذاك التي ارادت تحقيق ذات الهدف الذي سعت إليه حملة ١١٨٣م .

وهكذا، وجد ذلك الفارس الصليبي الذي اعتاد علي السطو والنهب والقتل مجاله في نطاق جديد لم يألف المسلمون فيه أية عناصر صليبية علي عكس الحال في

البحر المتوسط الميدان التقليدي للصراع الإسلامي – الصليبي، ومع ذلك من المستبعد تماماً وصول السفن الصليبية إلي باب المندب، حيث قرر مؤرخ راحل قدير ما نصه : "وربما وصلت حملته جنوباً إلي باب المندب [٢٩] حتى عدن إذ من العسير علي ذلك الأمير الصليبي أن يتعامل مع جبهة بحرية بطول البحر الأحمر لأن ذلك كله كان أكبر من قدراته كما أن نجاح مثل تلك الحملة كان يحتم عليه تركيز جهده في نطاق الحجاز وعدم التوسع جنوباً إلي عدن خاصة ان عواقب ذلك لم تكن مأمونة .

الأمر المؤكد أن الفرسان الصليبيين ومنهم عناصر الرهبان الفرسان كالاسبتارية Hosoitallars والداوية Templars وجدوا الطريق خالياً من أية مقاومة نظراً لعدم اعتياد المسلمين لوجود صليبي هناك .

أما جبهة الحجاز ؛ فقد هاجم الصليبيون ينبع علي ساحل البحر الأحمر، والتي وقعت علي خط عرض (٢٤) وخط طول (٣٨) وبعدت عن المدينة المنورة ٢٥٠ ك.م واعتبرت ميناء المدينة، ودلهم عدد من الخونة من الأعراب علي الطريق إليها، وهناك من يقرر أنهم كانوا علي مسيرة يوم واحد منها [٣١]، وعلي ذلك النحو لأن المسافة المذكورة لم يكن من المنطقي اجتيازها في يوم واحد، ولذلك من المتصور أن ذلك القول كان بمثابة دعاية سياسية لإظهار الأيوبيين علي أنهم حماة الأماكن المقدسة الإسلامية .

وصلت تلك الأخبار إلي صلاح الدين الأيوبي وهو في مناطق الجزيرة الفراتية ؛ فأرسل إلي شقيقه العادل أبو بكر في مصر وطلب منه الاسراع بمواجهة الخطر الداهم، ومن الواضح أن الأيوبيين كانوا في سباق مع الزمن لمواجهة ذلك الخطر الصليبي الداهم .

قام العادل بتجهيز قطع بحرية أرسلت إلي البحر الأحمر علي رأسها حسام الدين لؤلؤ[٣٢] ؛ وهو مجاهد أرميني خبير بالقتال البحري، عرف عنه أنه ما أرسل إلي

مهمة إلا وعاد منتصراً، وقد وصل إلي عيذاب فلم يجد أي أثر للصليبيين، وقد تعقبهم في البحر، وكانوا قد بلغوا رابغ ؛ وهو ميناء حجازي قريب من مكة المكرمة وقع إلي الشمال من جدة، وهناك وجد الغزاة تجاراً فأسروهم واشاعوا الذعر في شواطئ الحجاز، وتوجهوا شمالاً من أجل الوصول إلي المدينة المنورة، وتركوا مراكبهم بساحل الحوراء المواجه للمدينة وقام جنودهم بحراستها .

تمكن حسام الدين لؤلؤب من اللحاق بالصليبيين في الحوراء فأنقض عليهم وأطلق سراح الأسرى ورد إليهم ما سلب منهم، واتجه إلي البر لمطاردة قوات رينو دي شاتيون، وبالفعل تمكن من اللحاق بهم، ولاذ فارس الصليبيين اللص الغادر بالفرار[٣٣] .

لقد تم إلقاء القبض علي عدد من الأسرى الصليبيين الذين تم الطواف بهم في المدن الإسلامية الكبرى للتشهير بهم جراء ما أقدموا عليه، وهكذا ترك رينودي شاتيون جنوده في إذلال بينما كان ينعم بالأمان في قلعة الحصينة في الكرك، ولدينا شاهد عيان علي ذلك التشهير في مدينة الإسكندرية [٣٤]حيث حدث يوم ٦ إبريل عام ١١٨٣م في صورة ما اورده ابن جبير ( ت ١٢١٧م ) في رحلته الماتعة التي تفيض بالحيوية بعد قرون من كتابتها !!.

من جهة أخرى، تم نقل اثنين من الأسرى الصليبيين إلي منى خلال موسم الحج [٣٥]، وتم نحرهما حتى لا يرشدا أحداً علي الطريق إلي الأماكن المقدسة الإسلامية بالحجاز وحتى يصبحا عبرة لمن يعتبر .

واقع الأمر، اختلف الباحثون في تحديد المدة الزمنية التي استغرقتها تلك الحملة الصليبية الغادرة، فيرى أحد المؤرخين أنها بدأت في شهر مايو ١١٨٢م، وقرر تأخر الرد الإسلامي إلي يناير ١١٨٣م [٣٦]، أي أنها استمرت (٨) أشهر، وجعل مرجعه

في ذلك المؤرخ الفرنسي ري Rey في دراسته القديمة المستعمرات الفرنجية في سوريا واعتقد مؤرخ آخر انها استغرقت زهاء أربعة شهور [٣٧].

أما المؤرخ الإسرائيلي البارز يوشع براور Josshua Prawer ؛ فقد قرر أنه كان علي مصر أن تنتظر عدة اسابيع إلي أن ردت علي تلك الحملة المباغتة [٣٨]، ويفهم من قوله هذا أن الموقف الذي استهلكته شهر أو ما يزيد علي ذلك قليلاً .

بينما اعتقد مؤرخ آخر خبير بالعمليات العسكرية في العصر الأيوبي (١١٧١-١٢٥٠م ) خاصة عهد صلاح الدين الأيوبي (١١٧١- ١١٩٣م ) أن تلك العملية استغرقت المرحلة الزمنية من نوفمبر ١١٨٢م إليينابر ١١٨٣م [٣٩]و اخيراً رأي مؤرخ آخر أنها استمرت عاماً علي مدى النصف الثاني من عام ١١٨٢م والنصف الأول من عام ١١٨٣م [٤٠]، إن الحملة الصليبية علي الحجاز من المستبعد تماماً استغراقها (٨* أشهر لأن ذلك أبعد ما يكون عن المنطق التاريخي لعدة اسباب تجمل في الآتي :

أولاً : من غير المنطقي تماماً أن تكون الحملة قد استهلكت كافة تلك الشهور ويتأخر الرد الأيوبي البحري الحاسم ضدها خاصة أنها استهدفت الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز حيث القلب الديني النابض للعالم الإسلامي ومقصد الحجاج المسلمين من كافة بقاع العالم حينذاك وبالتالي فإن قداسة موضع الهجوم المعادي ينفي فكرة طول مدة الحملة .

ثانيا: إن الاعتماد علي المراجع الفرنسية التي ألفها أصحابها منذ عقود طويلة ورد فيها روايات من نسج خيالهم لا تقدم لنا الحقيقة التاريخية الموضوعية بل رؤية فرنسية مبالغة لا تعتمد علي نصوص مصدرية، حيث أن رواية ارنول بالصورة التي اوردناها، فالحل يكمن في المصادر العربية المعاصرة واللاحقة والتي تعطينا انطباعاً بأن الرد الأيوبي لم يتأخر طويلاً خاصة أن حسام الدين لؤلؤ كان

خبيراً بأمور القتال البحري، وتلك الخبرة – بداهة – تقلل عنصر الزمن إلي حد كبير خاصة أنه قائد بحري خبير والصليبيون يرتادون موقعاً لم يسبق لهم ارتياده .

ثالثاً :في حالة الافتراض، جدلاً – أن الحملة استمرت ثمانية اشهركما تصور البعض لكان الصليبيون قد حققوا كافة أهدافهم من ورائها ولأعتبرت حملة صليبية ناجحة تماماً، إلا أن فشلها بالصورة المهينة التي أوردتها المصادر العربية – خاصة ابن جبير – تؤكد علي أن الصليبية لم يتمكنوا من انجاحها من خلال الرد الأيوبي البحري السريع كما هو متوقع منطقياً .

اما قول يوشع براور أن أسابيع مضت قبل أن ترد مصر المباغتة، فهو أمر غير منطقي ؛ لأن الحمام الزاجل كان كفيلاً بإيصال الأخبار من خلال الرسائل علي نحو سريع، كما أن وجود تلك الأحداث خلال موسم الحج امام حشود المسلمين كان يحتم علي الدولة الأيوبية الرد السريع لمواجهة ذلك الخطر الداهم، لذلك لم يكن هناك عدة اسابيع إليان كان الرد من جانب مصر الأيوبية ونستطيع ان نلمح طابع السخرية المتعمدة من جانب ذلك المؤرخ الذي كان من الواضح لم ينس صراعات المصريين الدامية ضد الإسرائيليين في التاريخ المعاصر .

وفي تقديري أن المدة الزمنية المفترضة للحملة أقل من شهرين أو كما ذكر ابن جبير " نيف علي شهر ونصف [٤١]، وبالتالي فإن الرأي القائل باستمرارها عاماً كاملاً ابعد ما يكون عن المنطق التاريخي، جدير بالذكر، ضرورة دراسة الأخطاء التي وقع فيها الصليبيون في تلك الحملة علي الرغم من الاعداد الدقيق لها، والطابع الفجائي الذي حدثت من خلاله، إذ أن ذلك من شانه تعميق رؤيتنا لذلك الحدث المهم في تاريخ الصراع الصليبي – الإسلامي خلال القرن ١٢م علي نحو خاص .

يمكن رصد تلك الأخطاء من خلال الآتي :

أولا: جاء توقيت تلك الحملة غير موفق فقد حدثت في وقت كان فيه صلاح لادين الأيوبي تتزايد قوته باستمرار وتحسنت علاقاته مع المدن التجارية الإيطالية وكذلك افمبراطورية البيزنطية بينما كانت مملكةالصليبيين في عهد الملك بلدوين الرابع IV Baldwin (١١٧٤-١١٨٥م ) تعاني من مشكلات داخلية تكاد تعصف بها حيث تزايدت الشكوك بين الملك الصليبي وبين بوهيمند الثالث bohemand III (١١٦٣- ١٢٠١م ) أمير انطاكية، وريموند الثالث ( Raymand III (١١٥٢- ١١٨٧م ) أميرطرابلس، كما لا نغفل أمر حال بلدوين الرابع وتدهورها ومشكلات الوراثة في الملكة الصليبية [٤٢] كما ومن المحتمل – دون إمكانية الترجيح بطبيعة الحال أمام صمت المصادر التاريخية – أن المملكة الصليبية في بينت المقدس رأت جدوى تحقيق انتصار عسكري بحري غير مسبوق علي صلاح لادين الأيوبي علي نحو من شأنه رأب الصدع الداخلي من جراء الخلافات التي كانت تعصف بها .

فإذا صمت مثل تلك الفرضية ؛ تكون تلك المملكة قد علقت الآمال الكبار عليها من اجل الخروج من كبوتها، إلا أن خسارتها كانت كبيرة واكدت اندفاع وتهور ذلك الفارس الصليبي المتعصب الذي جر عليها الكوارث بعد أن اغتنم فرصة ضعف السلطة المركزية في بيت المقدس وتصرف دونما رقيب أو حسيب دون غدراك التغيرات الإقليمية والدولية المتعددة التي جعلت الوضع السياسي للصليبيين ضعيفاً مقارنة بما كان من قبل .

ثانيا: يقرر أحد الباحثين أن هناك خطأ وقع فيه الصليبيون في صورة الهجوم علي عيذاب، لأن ذلك – من وجهة نظره – خطأ استراتيجي ولو سار رينو دي شاتيون مباشرة إلي اليمن لتغير مسار حملته وبلغها في غضون شهرين [٤٣] .

و الواقع أن اختيار عيذاب والهجوم عليها كان جزءً من مؤامرة الخداع الصليبية حينذاك من أجل تشتيت القيادة الأيوبية بين ضفتي البحر المتوسط، ومن المفترض أن الصليبيين خططوا بدهاء لتلك الحملة ولم يكن الهجوم علي ذلك الميناء إلا جزءً من جناحي العملية العسكرية المذكورة، أما الافتراض بأنه في حالة إلغاء أمر الهجوم علي عيذاب والاتجاه إلي اليمن فهو أمر أبعد ما يكون من المنطق التاريخي إذ ليس من المنطقي أن يسيطر علي البحر الأحمر من شماله إلي جنوبه في عملية بتلك الصورة خاصة أن الهدف الأصلي لا يتجاوز المدينة المنورة وبالتالي ليس هناك ما يدعو إلي التوجه إلي اليمن .

و من المهم هنا في معرض تناولنا لتلك الحملة أنها تعد أقصى حدود التوسعات الصليبية فياتجاه الجنوب [٤٤]، وبالتالي هناك مثلث في صورة إمارة الرها Edessa كأقصى توسع في الشرق، ثم عيذاب جنوباً، وتونس في الغرب من خلال حملة الملك الفرنسي لويس التاسع عام ١٢٧٠م [٤٥] وكل ذلك يؤكد لنا أن أن المشروع الصليبي لم يكن يتصف بالثبات، بل احتوى علي محاولات مستمرة لاختراق دفاعات المسلمين حتى في المناطق الغير تقليدية والتي ما اعتادوا رؤية صليبيين فيها كما في حالة حملة عام ١١٨٢/١١٨٣م .

تجدر الإشارة إلي ان تلك الحملة علينا ألا تفصلها عن جهود الصليبيين لغزو مصر دون جدوى والتي بدأت مع حملة الملك بلدوين الأول عليها [٤٦] عام ١١١٨م، وقد تأكد لنا بالتالي ان الغزاة نجحوا آسيويا حيث اقاموا كياناتهم هناك وفشلوا افريقيا وتلك كانت " عقدة " تاريخهم المستحكمة .

وعندما نعقد مقارنة بين الحملتين الصليبيتين المذكورتين، وهما حملة الملك بلدوين الأول عام ١١١٨م، وحملة رينو دي شاتيون عام ١١٨٣م، يمكن ملاحظة الآتي .

١- حملة بلدوين الأول قام بها في وقت قوة الصليبيين بعد تأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية علي مدى الأعوام من ١١٠٠ إلي ١١١٨م، أم حملة رينو دي شاتيون فتحت في وقت كانت تلك الملكة تعاني من الصراعات الداخلية كما أوضح البحث .

٢- حملة الملك الصليبي المذكور كانت هي الأولي من نوعها، أما حملة رينو دي شاتيون فكانت متأخرة زمنيا عنها، مع عدم اغفال وجود حملات صليبية متعددة بينهما خلال عهد الملك امالريك الأول Amalric I (١١٦٣- ١١٧٤م )، مع عدم إغفال أن بلدوين الأول كان ملكا ام رينو دي شاتيون فكان اميراً صليبياً .

٣- حملة عام ١١١٨م فقد كانت حملة برية من خلال اختراق طريق هورس القديم وصولاً إلي مصب فرع النيل في دمياط –كما يقال – أما حملة عام ١١٨٣م فهي حملة بحرية صرفة .

٤-توفي بلدوين الأول في أعقاب هذه الحملة عام ١١١٨م، أما رينو دي شاتيون فقد عاش بعد حملته عام ١١٨٣م، أربعة أعوام إلي أن قتل علي يدي صلاح الدين الأيوبي ورجاله في ٤ يوليو ١١٨٧م .

٥-أدت حملة عام ١١١٨م الهدف من ورائها من خلال طابع الاستكشاف الذي اتسمت به، فكانت البداية التاريخية الحقيقية لحملات صليبية تالية علي مدى القرنين ١٢، ١٣م، اما حملة عام ١١٨٢/ ١١٨٣م تم الاجهاز عليها .

٦-لم ياسر الفاطميون أحداً من الذين اشتركوا في حملة ١١١٨م، بينما تمكن الأيوبيون من أسر عدداً من الأسرى الصليبيين عام ١١٨٢من ١١م وتم التشهير بهم في المدن الإسلامية .

٧- حملة عام ١١١٨م حدثت في وقت ضعف الخلافة الفاطمية، أما حملة ١١٨٢/ ١١٨٣م فحدثت والدولة الأيوبية في مرحلة قوة عسكرية وسياسية واضحة،

ولا أدل علي ذلك من أنها بعد (٤) أعوام فقط تمكنت من إسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية .

٨-حملة عام ١١١٨م اتسمت بالطابع الإقليمي المحدود نظراً لكونها حملة استطلاع صليبية لمصر، اما عام ١١٨٢/ ١١٨٣م فكان الهجوم عليها ضمن عملية أوسع وأكبر استهدفت الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز لذلك أحدثت صدى كبيراً لدى العالم الإسلامي بأسره، وقد أنعكس ذلك بدوره علي الكتابة التاريخية المعاصرة، واللاحقة، فأبرز المؤرخون المسلمون الحملة الأخيرة لما مثلته من خطر داهم علي حين نجد اهتماماً محدوداً بالحملة الأولي .

٩- حملة عام١١١٨م، لم نسمع خلالها عن قائد مسلم يواجه الصليبيين نظراً لحدوثها وقتاحتضار الدولة الفاطمية طويل الأجل الذي انتهي عام ١١٧١م أما حملة ١١٨٣م، فظهرت بطولة لحسام الدين لؤلؤ القائد العربي الخبير ولذا أشارت المصادر التاريخية الإسلامية المعاصرة واللاحقة .

الواقع أن تلك الحملة الصليبية الغادرة نتجت عنها عدة نتائج مهمة يمكن اجمالها علي النحو التالي:

أولا: أكدت تلك الحملة أن هناك اختلافاً بيناً بين الأهداف المعلنة للمشروع الصليبي –كما دعا إليها البابا اوربان عام ١٠٩٥م، والواقع التاريخي الفعلي لها ؛ إذ أن البابا دعا إلي تحرير بيت المقدس من السيادة الإسلامية، إلا أننا في عام ١١٨٣م نلاحظ أن الصليبيين اتجهوا إلي مهاجمة الأماكن المقدسة للمسلمين في الحجاز فكان الحركة الصليبية أشبه بأخطبوط بأذرع متعددة وأن أخطر ما فيها اخفاء أهداف أخرى غير معلنة في خطاب افتتاح المشروع الصليبي، وقد طورت تلك الأهداف التي لم تكن لتخرج عن دائرتي التعصب الديني ضد أول ما هو غير مسيحي كاثوليكي والمكاسب المادية من خلال

نهب منظم لثروات الشرق الإسلامي لصالح الغرب الأوروبي في العصور الوسطي .

ثانيا :قدمت حملة رينو دي شاتيون لصلاح الدين الأيوبي فرصة ذهبية للدعاية السياسية لدولته حيث ظهر في انحاء العالم الإسلامي وبصورة غير مسبوقة كصاحب الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، فزادت مكانته لدى المسلمين جمعاء، وما كان له مثل هذا الأمر قبل عام ١١٨٢/ ١١٨٣م، وبذلك تأكد مدى قصر نظر ذلك المير الصليبي الذي قدم لخصمه اللدود أحد أهم عناصر قوته وهو أمر تدعم من خلال انتصار حطين بعد ذلك بأربعة أعوام فقط .

ثالثاً : اتضح لنا أن المصادر التاريخية الصليبية عندما كان النصر حليف الصليبيين ؛ تقدم لنا التفاصيل الضافية، كما حدث خلال معركة تل الجزر عام ١١٧٧م التي هزم فيها صلاح الدين الأيوبي، أما عندما تكون هناك هزيمة فادحة مذلة ومهينة كما في حالة حملة رينو دي شاتيون عام ١١٨٢/ ١١٨٣م، تلوذ بالصمت حتى لا تكشف عن حجم الهزيمة التي وصلت إلي حد الفضيحة العسكرية النكراء، وتكفلت المصادر التاريخية الإسلامية بتقديم التناول المفصل الموضوعي لتلك الحملة علي نحو كشف النقاب عنها، علي حين أغفلها مؤرخ الصليبيين البارز وليم الصوري بصورة تجعلنا لا تصفه بالموضوعية التي تحدث عنها في صدر كتابه تاريخ الأعمال .

رابعاً : أكدت الحملة مدى خطورة ذلك الفارس الصليبي الأرعن الذي حركته عقدة الأسر، وأراد ضرب المسلمين في أعز مقدساتهم، ومن الممكن الافتراض أن السلطان الأيوبي أدرك ذلك الأمر، لذلك لم يكن غريباً أن أجهز عليه شخصياً في معركة حطين في ٤ يوليو ١١٨٧م بعد أربعة اعوام فقط من تلك

الحملة الغادرة موضع نهاية لرجل عشق اللصوصية والسلب والنهب وسفك دماء المسلمين والمسيحيين علي حد سواء !! .

خامسا: اتضح لنا أن تاريخ الأيوبيين الحربي لم يكن برياً فقط بل بحرياً أيضا، فها هو البحر الحمر يشهد حملة صليبية غير مسبوقة لمهاجمة المسلمين ولابد لنا هنا من الاقرار بأن مجد صلاح الدين الحربي شارك فيه عشرات الآلاف من الجنود الذين لا نعرف أسماءهم وعشرات من القادة ومنهم حسام الدين لؤلؤ ذلك البطل البحري الذي تمكن من إذلال المير الصليبي المتعصب رينو دي شاتيون وافشال مخططه الاجرامي ومعه جنوده من ابطال الأسطول الأيوبي المجاهد .

سادسا: أوضحت الحملة المذكورة أن التعصب ضد الإسلام والسعي إلي المكاسب والتجارة هي أساس الحركة الصليبية، وكان هذا من عناصر فشلها إذ عجز الصليبيون، عن أن يتواصلوا حضارياً مع المسلمين، وبدأوا تاريخهم في المنطقة بسفك الدماء علي نحو أكد الطابع المتعصب لتاريخهم وأن الشعارات الدينية التي رفعوها لم تكن سوى المبرر لتجميلها يتباهى في الواقع ذات أهداف مصلحية دنيوية لا يمكن إنكارها .

سابعا: اتضح من دراسة الحملة المذكورة وجود تفوق لسلاح المعلومات لدى الصليبيين [٤٧]، بحيث تمكنوا من اختراق مناطق الأيوبيين بمثل تلك الصورة وتحالفوا مع العناصر البدوية، والأمر المؤكد أن الخونة من البدو كان لهم دورهم البارز في كافة مراحل تلك الحملة حيث ساعدوا الغزاة علي نقل السفن إلي ايلة وارشدوا رينو دي شاتيون إلي مسالك البحر الحمر التي كانت غريبة تماماً عن الصليبيين كما دلوه علي شعاب الحجاز[٤٨] الوعرة [٤٩]هكذا كشفت الحملة عن قصور في أداء المخابرات الأيوبية، ومن المفترض أن الأعوام التالية فيما بين عامي ١١٨٣، ١١٨٧م شهدت تطوراً لأنشطة تلك المخابرات علي نحو أدى إلي النجاح البارز الذي شهدته معركة حطين الفاصلة عام ١١٨٧م،

وهو نجاح مخابراتي في المقام الأول – دون اغفال مظاهر النجاح الخرى بطبيعة الحال – وبالتالي من المتصور أن القصور المذكور تمت معالجته فيما بعد وقد نتج عن البحث عدة نتائج يمكن إجمالها علي النحو التالي :

أولا : أكد البحث علي ضرورة التعامل مع المصادر التاريخية المعاصرة للأحداث أو المتأخرة عليها، وعدم الارتكان إلي كتابات المؤرخين الفرنسيين المحدثين الذين ألفوا مؤلفاتهم في أوائل القرن العشرين حيث كان لفرنسا مستعمراتها وكتب أبناؤها تاريخ الصليبيات علي انه جزء لا يتجزأ من التاريخ الفرنسي في العصور الوسطي وحشدوا فيه آلتهم من الخيال والحماس الوطني البعيد عن الوقائع التاريخية .

ثانيا: اتضح لنا ضرورة الإرادة من العلوم الأخرى المعاونة للمؤرخ في سعيه الحثيث للوصول قدر المستطاع من الحقيقة التاريخية مثل علم النفس وخاصة علم النفس الحربي Military Psychology [٥٠] الذي يقدم لنا مادة علمية لهم عن سيكولوجية الأسرى علي نحو يكشف لنا تلك المرحلة المهمة من صراع الشرق والغرب في العصور الوسطي .

ثالثا: تأكد من البحث أن شبه القارة الهندية بتوابلها التي احتاجها الغرب في الطعام والعلاج وغيرها من الأغراض؛ أسالت لعاب الصليبيين، ولذلك كان من أهدافهم السيطرة علي تجارة التوابل عبر البحر الأحمر علي نحو أوضح لنا الطابع الاقتصادي للحركة الصليبية، وهم بذلك أرادوا اخضاع الطريق التجاري الحيوي بعد ان سيطروا علي منفذ طريق الحرير Silk Road في الساحل الشامي الذي من شنغهاي في الصين وصولاً البندقية Venice بإيطاليا من خلال إخضاعهم الساحل الشامي، وهكذا يتضح لنا أن المشروع المذكور طور نفسه بدهاء من خططوا له من أجل النهب المنظم لثروات الشرق .

ذلك عرض عن العدوان الصليبي علي الحجاز من خلال حملة ١١٨٢/ ١١٨٣م .

## الهوامش

(١)عن حملة عام ١١٨٢/١١٨٣م علي الباز أنظر:

Ernoul Chronique d,Ernoul et Bernord de Tresorier, ed . Mas Latrie ,Paris 1971,pp.69-70.

ابن جبير، الرحلة، ط . بيروت ٢٠٠٧م، ص ٢٨ الفتح البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق النبراوي، ط . القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢١٢ –ص ٢١٣، أبو شامة، الروضتين في تاريخ الدولتين، ط. بيروت ب، جـ ٢، ص ٣٧. ابن منكلي، الأحكام الملوكية والضوابط النموسية في فن القتال في البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص ٨٥-ص٨٦.

A. Ehrenkreutz, The place of Saladin in The Naval history of The Mediterranaun sea in The Middle Ages, J.A.O.S., 75, 1955,pp100-115.

L.leiser, The Crusades Raidin The Rad sea 5 18- 1182-1183", J.A.R.C.E.,14, 1977,pp.87-99.

شاكر مصطفي، صلاح الدين الأيوبي الفارس المجاهد والملك الزاهد المفتري عليه، طز دمشق ٢٠٠٣م، ص ٢٣٩- ص ٢٤١ محمود رزق محمود، العلاقات بين ارناط امير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى واقعة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م .

ياسر كامل، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع (١١٧٤-١١٨٥م) – رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة أسيوط عام ٢٠٠٨م ص ١٦٤- ص١٦٦، محمد مؤنس عوض، تاريخ الحروب الصليبية، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ( القرن ٦-٧هـ / ١٢-١٣م ) ،ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص ١٢٠، نفسه، الحروب الصليبية، العلاقات بين

الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م، ص ٢١٢- ٢١٥، نفسه، تاريخ الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ٢٠١١م، ٢٣٥- ٢٣٧ نفسه، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ط. القاهرة ٢٠٠٨- ١٣٦- ١٣٩، نفسه، صلاح الدين الأيوبي وإدارة الزمن في الصراع مع الصليبيين ١١٧٠- ١١٩٣م، المنبر الجامعي، العدد (٧٨ )، العدد (٧٨) السنة (١١) يونيو ٢٠١٢م، ص ٤٧، محمود الحويري، مصر في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٢٠٠، إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت . السيد الباز العريني، طز بيروت ب- ت، ص ٨٢، فردريك، ت . بهاء الدين طوقان، ط. عمان ١٩٩٨م . ص ١٣٨، محمد عبد القادر خريسات ونوفان السوارية وعصام هزايمة، محاضرات في تاريخ الأردن وحضارته، ط. اربد ٢٠٠٠م، ص ١٠٧، سحر السيد سالم، دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ١٠٤- ص ١٠٥، سعيد عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٦٣م، جـ٢، ص ٧٨٦- ٧٧٨،نفسه، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت ب- ت، ص ٥٤، نفسه، الحركة الصليبية في العصور الوسطي، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٣٧ محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص ١٣٦، نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص ١٤٠ – ص ١٤١،محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٣٥٥- ص ٣٦٠، بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، ط. بيروت ١٩٨٨م، جـ٤، ص ١٢٧ – ص ١٢٨، السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،ط. الإسكندرية ١٩٩٣م ،جـ١، ص ٢٥٣، سامي المغلوث، اطلس

الحملات الصليبية في المشرق الإسلامي في العصور الوسطي ،ط. الرياض ٢٠٠٩م، ص ١٠٠، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت ص ٧٠٦، محمد الحافظ النقر، تاريخ بيت المقدس من الفتح العمري حتى نهاية العهد الأيوبي، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ١٥٠، أحمد حطيط، تجارة البحر الأحمر في زمن صلاح الدين الأيوبي – مساهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي الإسلامي الوسيط، المؤرخ العربي، العدد (٦٠) لعام ٢٠٠١م، ص ٩٨،عبد المنعم الهاشمي، موسعة تاريخ العرب العصر الأيوبي، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٩٥، مرفت عثمان، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب العصر الأيوبي، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٩٥، مرفت عثمان، التحصينات الحربية وادوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٣٥٥–ص ٣٥٧، برهان العابد، أرناط الفارس اللص، نشأته، حياته، غزواته، ودوره في تمهيد الظروف لمعركة حطين، ندوة حطين، ثمانية قرون علي الموقعة المجيدة ١١٨٧–١٩٨٧م، الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة عام ١٩٨٧م، ص ١٣– ص ١٤ –ت علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء علي الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، طز القاهرة ٢٠٠٧م ن ص ٣٧٠، فؤاد الدوبكات، إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢– ٥٨٣هـ / ١٠٩٩– ١١٨٧م، ط. اربد ٢٠٠٩م ن ص ١١٩، مصطفي الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٢٥٣، محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية ( حروب الفرنجة في المشرق ٤٨٩– ٦٩٠هـ ١٠٩٦– ١٢٦١م ط . بيروت ٢٠١١م، ص ٤٦٢، قاسم عبده قاسم، ماهية الحرب الصليبية، الأيديولوجية – الدوافع – النتائج ،ط. القاهرة ٢٠١١م، ص ١٤٦، مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٤م،

ص ١٢٦ – ص ١٢٧، محمود السيد، تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ٢٠٠٢م، ص ١٥٨، ساهر رافع، شخصيات أثرت في التاريخ صلاح الدين، ط. الجيزة ٢٠٠٨م، ص ٧٩- ص ٨١، محمود شلبي، حياة صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٦٨ –ص ٦٩، رياض شاهين، قلعة جزيرة فرعون ساحة للصدام الصليبي الإسلامي، ضمن ندوة البحر الأحمر عبر العصور، اتحاد المؤرخين العرب، حصاد (١)، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٢٥، حسن عبد الوهاب، مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ١٩٩٧م، ص ٢٠٢- ص ٢٠٣، نفسه، أمن المدينة المنورة في عهد صلاح الدين الأيوبي ٥٦٧-٥٨٩هـ م ١١٧١- ١١٩٣م، ضمن كتاب تاريخ وحضارة المدينة المنورة – الجمعية التاريخية السعودية ،ط. المدينة المنورة ٢٠١٠م، ص٤٠٢ علي قبر الرسول صلي الله عليه وسلم في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي نفس الكتاب، ص ٤٥١- ص ٤٥٢.، يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ط. عمان ١٩٨٢م، ص ١٣٤، قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٤٧- ص ٤٨، رينيه جروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت . احمد أبيش، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٧٣ .عمر يحيي محمد، من أحداث الحروب الصليبية مغامرة الصليبي أرناط الفاشلة – لغزو الحجاز ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، ط . القاهرة ب. ت، يوشع براور عالم الصليبيين، ت . قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه حسن ،ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥٩، نعمان حيران، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ط. اربد ٢٠٠٠، ص ٩٥، سعيد عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي،

ط. القاهرة ١٩٦٣م ن جـ٢ —ص ٧٨٦- ص ٧٨٧، فاروق جرار، أسطول صلاح الدين الأيوبي، مجلة الأبحاث — الجامعة الأمريكية السنة (١٣) عام ١٩٦٠، ص ٨٥ — ص ٨٦.عبد الله الربيعي، السياسة الصليبية تجاه البحر الحمر من عام ٤٩٢- ٥٨٤هـ / ١٠٩٩-١١٨٨م دراسة في التاريخ العسكري والاقتصادي، العدد (١٣) العام ٢٩ رجب ١٤٢٤هـ، ص ١١١، أحمد مختار العبادي، البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية، ط. جامعة الإسكندرية ١٩٧٢م، ص ٥٦٨،عبد الرحمن زكي ومحمود عيسي الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ،ط. القاهرة ١٩٤٧م، ص ٣٢، جميل حرب محمود، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،ط. جدة ١٩٨٥م، ص ١٨- ص ٧٥، عائشة بنت عبد الله، الحجاز في العصر الأيوبي، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م ن ص ٤١- ص ٤٤، حسنين ربيع، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ط . القاهرة ١٩٨٠م، ص ١٠٨-ص ١١١شاكر مصطفي، من ذكريات الغزو الفرنجي وجوه من العهد الصليبي، ط. دمشق ١٩٩٦م، ص ٧٧، حمدي محمد راجح، المحاولة الصليبية لغزو الحجاز في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٨٥م، جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلي الوقت الحاضر، ت — عمر الإسكندراني مراجعة سليم حسن، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص ٧٣، سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط .القاهرة ١٩٦٧م، ص ١٠٥ ،عثمان عشري، الأسطول والبحرية في عصر سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ١١، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ،ط. الرياض ١٩٨٢م،

ص ٢٠٢ – ٢٠٣، وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص ١٢٧ – ص ١٢٩

A.S. ATiya, Crusade, Commerce and Culture, London 1962, p.77.

S.Lane-Poole, Saladin and The Fall of kingdom of Jerusalem, Loudo. 18, p.175.

(٢)عن رينو دي شاتيون أنظر :

Ernoul, Chronique d, Ernoul et Bernard le Tresorier , ed .Mas Latrie , paris 1971,pp.69- 70 peter of Blois, Passia Reyinaldis, P.L., VOl. 207, 1904, Cols.957- 976.

Otto of St. Blasion, in Thatche, Source Booh of Medieval History , New York 1903, pp. 529- 530.

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق احمد أيبش، ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ١٥٥– ١٥٧، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،ط. الإسكندرية ١٩٥٨م، ص ١٠٥، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ،ط. حيدر أباد ١٩٥٠ م، جـ٢ / ق ١، ص ٢٨٩.، ابن سعيد المغربي، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة تحقيق حسين نصار ،ط. القاهرة ١٩٧٠م،جـ ٥، ص ١٣٥.

G.Schlumberger, Renauld de chatillon prince d,Antioche, seigneur de la Terre d, Outre- Jordan, paris 1923.

B.Hamilton, The Elephant of Christ, Reynald of chatillon. in Reynald of chatillon, in Religious Motivation: Biographical and Socioloyical problems For The Church Historion, ed. Derek Baker. Oxford 1978, pp97- 108.

M.Paine, The Crusades, London 2005,p.84,J.Joues and A.Ereira . Crusades, London `1996, p.119.

علي احمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٢٧-ص ٢٣٤، برهان العابد، ارناط الفارس اللص، نشأته، حياته، غزواته، دوره في تمهيد الظروف لمعركة حطين، ندوة حطين، ثمانية قرون علي المعركة المجيدة ١١٨٧- ١٩٨٧م، ط. دمشق ١٩٨٧م، يوشع براور، عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه حسن، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥٩، ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ت . إلياس شاهين، ط. موسكو ١٩٨٦م، ص ١٩٠، فؤاد الدويكات إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢- ٥٨٣هـ / ١٠٩٩- ١٩٨٧م، ط. اربد ٢٠٠٩م، ص ١١٢ حاشية (١)، جوناثان رايلي سميث، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا فيبيت المقدس وقبرص (١٠٥٠- ١٣١٠م )، ت صبحي الجابي، ط. دمشق ١٩٨٩م، ص ٣٢، هولت، عصر الحروب الصليبية تاريخ الشرق الدني من القرن الحادي عشر حتى عام ١٥١٧، ت . عادل هلال، ط. دمنهور ٢٠٠١م – ص ١٢٤ – ص١٢٥، بتير جويسر، السياسة والتغيير في الكرك .

(٣)عن البحر الحمر، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط. القاهرة ١٩٦٠م ،جـ٤ – ص ٤٨، السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، تحرير أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م ( أفضل عمل جماعي بالعربية عن البحر الأحمر في العهدين الأيوبي والمملوكي، آداب الرافدين، العدد (٣٠) عام ١٩٩٧م، ص ١١٢- ص ١٢٩، عبد المنعم عبد الحليم، البحر الأحمر وظهوره في العصور القديمة، ط، الإسكندرية ١٩٩٣م، عبد الرحمن برج، البحر الأحمر عبر التاريخ، ندوة البحر الأحمر، معهد الدراسات الدبلوماسية، ط. الرياض ١٩٨٥م محمد أبو الفتوح خياط، أهمية البحر الأحمر

كبحيرة عربية، الدارة، السنة (٦)، العدد ( ٢) يناير١٩٨١م، ص ٨٥ – ص ٨٨، إبراهيم صقر، أمن البحر الأحمر، بعض الملاحظات الجيوبولتيكية، الدارة، السنة (٦)، العدد (٢) يناير ١٩٨١م، ص ٦٤- ص ٢٧٧ محمد صالح ضرار، تاريخ السودان والبحر الأحمر وإقليم، ط. بيروت ١٩٦٥م، محمد أمين صالح، تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، الدارة، السنة (٦)، العدد (٢) يناير ١٩٨١م، ص ١٢٥- ص ١٢٦، احمد الأصبحي، إطلالة علي البحر الأحمر، ط. عمان ب- ت، نفسه، الأهمية الجيوسياسية والاستراتيجية للبحر الأحمر ومنافذه والصراعات التي تدور حوله، ضمن كتاب الأمن القومي العربي في منطقة البحر الأحمر، ط. ط. عمان ٢٠٠١م، ص ٥٥- ص ٨٩، حسن حبشي، اليمن والبحر الحمر، ط. بيروت ب- ت، محمود توفيق – المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، ط. الرياض ب- ت، محمد إبراهيم حسن، الشرق الأوسط وحوض البحر الأحمر ،ط. الإسكندرية ١٩٩٥م، نفسه، القرن الإفريقي وحوض البحر الحمر دراسة مقارنة للمظاهر الطبيعية والبشرية والإقليمية، ط. الإسكندرية ٢٠٠١م، جلال يحيي، سواحل البحر الأحمر، ط. الإسكندرية ١٩٦٠م، نفسه، البحر الأستعمار والاستعمار، ط. القاهرة ١٩٦٢م، وليد جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر، ط. الدوحة ١٩٨٦م نفسه، تاريخ سواكن والبحر الأحمر ،ط. الخرطوم ١٩٨١م، زينب عمر محمود، نشاط مصر، محمود توفيق محمود، المدخل الجنوبي للبحر الحمر دراسة في الجغرافية والجيوبولينكس، ط. الرياض ١٩٨٣م، جميلة العيسي، الصراع البريطاني – الفرنسي حول البحر الحمر،ط. الرياض ٢٠٠١م، حسن عثمان، البحر الحمر كطريق تجاري في عهد البيزنطيين والعرب والمماليك ،ط. القاهرة ١٩٣٩م ن عطية القوصي تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر

الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية، ط. القاهرة ١٩٧٦م، أحمد رمضان، اسطورة البحر الحمر، ضمن ندوة البحر الحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، طز القاهرة ١٩٨٠م، قاسم عبده قاسم، علاقات مصر بعالم البحر الأحمر في عصر سلاطين المماليك الجراكسة ٧٨٤- ٩٢٢هـ / ١٣٨٢- ١١٥٦م ،ضمن ندوة البحر الحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ،ط. القاهرة ١٩٨٠م، عبد الشافي غنيم، البحر الحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، ضمن ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ط. القاهرة ١٩٨٠م، سليمان عطية، سياسة المماليك في البحر الأحمر نهاية عصر السلطان برسباي ١٢٥٠- ١٤٣٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٥٩م .

E. Rushbrooke, Western Arabia and The Red sea, Oxford 1946.

(٤) عن الأخدود الإفريقي العظيم أنظر :

يسري الجوهري، الوطن العربي، دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية ،ط. الإسكندرية ١٩٧٩م، ص ١٩٨، فيليب رفلة واحمد مصطفي، جغرافية الوطن العربي، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٢، صلاح الشامي ومحمد الصفار، جغرافية الوطن العربي الكبير، ط. الإسكندرية ١٩٧٥م، ص ١٣٢- ١٥٦، محمد سامي عسل، الجغرافية الطبيعية، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ٢٧- ص ٢٩، عبد المنعم بلبع، الأرض والإنسان في الوطن العربي، ط. القاهرة ١٩٧٣م، ص ٣٥-ص ٣٦، علي موسي ومحمد الحمادي، جغرافية القارات، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٣٧٦، سويتر تون الأرض من تحتنا، ت .محمد يوسف حسن وفتح الله عوض، ط. القاهرة ب- ت، ص ٥٥، محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٧٢ – ص ٧٣ .

(٥) ابن جبير، الرحلة، ط. بيروت ٢٠٠٧م، ص ٣٨،السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ط. الإسكندرية ١٩٩٣م، ص ٢٥٣. محمد جمال الدين العلوي وصلاح ياسين، الوجود الإسرائيلي في البحر الأحمر، آداب الرافدين، العدد (٢٥) تشرين الثاني ١٩٩٣م، ص ٢٦٨.

وعن عيذاب أنظر :

ناصر خسرو، سفرنامه، ت .يحيي الخشاب، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٣٣- الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط. بيروت ١٩٨٩م، جـ١، ص ٤٧، ص ١٣٢، ص ١٣٤، ص ١٣٥، أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينو ودي سلان، ط. باريس ١٨٤٠م، ص ١٣٠ – ص ١٣١، ابن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية ،ط. القاهرة ١٩٤٣م ن ص ٣٢٥، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق السقا والوكيل، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص ٩- ص ١٠، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ٤٢٣- ص ٤٢٤، أحمد دراج، " عيذاب "، مجلة نهضة إفريقيا، السنة الأولي، العدد (٩)، يوليو ١٩٥٨م، ص ٥٣- ص ٦٠، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة ،طز الكويت ١٩٧٩م، ص ٨٠ نقولا زيادة، الرحالون المسلمون والأوروبيون إلي الشرق العربي في العصور الوسطي ،ط. بيروت٢٠١٠م، ص ١٧٩،السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٤١، محمود الحويري، أسوان في العصور الوسطي ،ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٠٣- ص ١٠٧، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩ -٢٠٠٠م، ص ٢١٣، حاشية (١)، - رجب محمد عبد الحليم، ميناء عيذاب ووادي العلاقي واثرهما في

علاقة مصر بالسودان حتى نهاية القرن ٩هـ / ١٥م، ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، تحرير عبد العظيم رمضان، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٢٧- ص ٣٠٥، نواف الجحمة، " السودان الشرقي في عيون الرحالين المغاربة – ميناء عيذاب نموذجاً، ط ضمن كتاب السودان وإفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب، ط. ابو ظبي ٢٠٠٦م، ص ٢٢٥- ص ٢٣٧، سعيد القحطاني، تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، دارة الملك عبد العزيز، ط. الرياض ٤٢٤هـ، ص ٣٣٤- ٣٣٥.حياة ناصر الحجي، الأهمية التاريخية لميناء عيذاب من منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إلي منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ندوة البحر الأحمر عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ٢٠٠٣م حصاد (١١)، ص٨٣- ص ٩٢، راوية عبد الحميد، ميناء عيذاب ودوره في خدمة الحجاج المغاربة، الندوة المذكورة، ص ٩٧-ص١١١، راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ،ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص ٢٤٢، محجوب عمر، معالم وتاريخ السودان، الخرطوم ٢٠٠٠م، ص ٢٨، خالد عمايرة، موانئ البحر الحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك ( ٦٤٨- ٩٢٣هـ م ١٢٥٠- ١٥١٧م)، ط. الرياض ١٤٢٨هـ، ص ٦٢- ٦٨، سليمان المالكي، طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلي منتصف القرن السابع الهجري، الدارة، العدد (١)، السنة (١٠) يونيو ١٩٨٤م، ص ١٥.

(٦)عن البحر المتوسط أنظر : ارشيبا لد لويس، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ت. أحمد عيسي ،ط، القاهرة ١٩٦٠م، يسري الجوهري، جغرافية البحر المتوسط ،ط. الإسكندرية ١٩٨٤م، جوفري ريكمان، " بحرنا ... البحر المتوسط "، ضمن كتاب البحر والتاريخ، تحرير ا. رايس، سلسلة عالم المعرفة، ت. عاطف احمد، ط. الكويت ٢٠٠٥م، ص ١١- ص ٣٢،

قرنان برودويل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت . يوسف شلبي الشام، ط. حمص ٢٠٠١م، محمد مؤنس عوض، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي ،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٣٩، حاشية (٢١)، محمد إبراهيم حسن، حوض البحر المتوسط، دراسة تحليلية لتنوع مصادر المياه وارتباطها بمظاهر التنمية الاقتصادية ،ط. بني غازي ١٩٩٧م ن نفسه، دراسات في جغرافية اوروبا وحوض البحر المتوسط، ط. الإسكندرية ١٩٩٦م، نفسه، جغرافية الوطن العربي، وحوض البحر المتوسط دراسة إقليمية تحليلية مقارنة، جزآن، ط. الإسكندرية ٢٠٠١م،

Horden and N.parcell,The Carrupting Sea, Astudy of Mediterranean History, Oxford 2001.R.S. lopez I. W. Raymond, Medieval Trade in The Mediterranean World, London 1954.

S.A. Goitein, A Mediterranean Society, California 1967.

(٧)عن بحر البلطيق أنظر :

E.Christiansea, The Northern Crusades , The Baltic and The Catuolic Frontier 1100- 1525, Minneso to 1980.

أنظر أيضا : محمد السيد رشوان، منظمة الفرسان التيوتون في شرق أوروبا (١٢٢٦-١٤٦٦م )، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة سوهاج عام ٢٠٠٧م .

(٨)كلية الآداب – جامعة سوهاج عام ٢٠٠٧م .

عبد الله الربيعي، السياسة الصليبية تجاه البحر الأحمر، ص ١٠٥.

(٩)عن حملة رينو دي شاتيون علي قبرص أنظر :

وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٨٤١- ص ٨٤٢، إسحق عبيد، روما وبيزنطة ،ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢١٥، ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص ١٩٠، كميل عزيز، لاذقية الشام ودورها في العصر الإسلامي ١٠٩٥- ١٢٩١م / ٤٨٨- ٦٩٠هـ، ط. الإسكندرية ٢٠٠٩م ن ص ١٥٨، كلود كاهن – الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص ١٩١ وعن قبرص أنظر :

G.Hill, History of Cyrus, 3 Vols- , London 194.

سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٥٧م، عاطف مرقص، قبرص والحروب الصليبية في القرنين ١٢، ١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٩١م .

عبد الوهاب القرشي، قبرص والصراع البيزنطي الإسلامي في الفترة من ٢١- ٣٥٤هـ ٦٤١-٩٦٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م .

بيتر ادبيوري ،قبرص والحروب الصليبية ،ط. قبرص ١٩٩٧م .

(١٠)عن حملة عام ١١٨١م أنظر :

ابن واصل، مفرج الكروب ،جـ٢، ص ١١٠، يوسف غوانمة، غمارة الكرك الأيوبية ،ط. عمان ١٩٨٢م، ص ١٢٣- ص ١٢٤، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٦٩٧، احمد بن هاشم البدرشيني المحاولات الصليبية للاعتداء علي قبر الرسول صلي الله عليه وسلم في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، ص ٤٥١ –ص ٤٥٢.

(١١)عن ذلك أنظر :

عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب، العصر الأيوبي، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٩٥، مرفت عثمان، التحصينات الحربية وادوات القتال في العصر الأيوبي،

ص ٣٥٥، محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق)، ص ٤٦٢، نفسه، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وغقليم الجزيرة ،ط. بيروت ١٩٩٩م، ص ١٣٦، نعمان جبران، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. اربد ٢٠٠٠م، ص ٩٥،

(١٢)علي الصلابي، صلاح لادين الأيوبي وجهوده فثي القضاء علي الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.

(١٣) نفسه، ص ٣٦٩.

(١٤) عن ذلك أنظر:

Ernoul, Chronique d,Ernoul et Bernard de Tresorier , ed .Mas latrie ,Paris 1971,pp.69-70.

نجد ترجمة لدي :

حسن عبد الوهاب، مصر وامن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ،ط. الإسكندرية ١٩٩٧م، ص ٢٤١.

(١٥)حسن عبد الوهاب، مصر وامن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية، ص ٢٢٨، حاشية (٤٠).

(١٦)درويش نخيلي، السفن الإسلامية علي حروف المعجم ،ط. الإسكندرية ١٩٧٩م، ص ٢٧– ص ٢٩.

(١٧) ابن جبير، الرحلة ،ط. بيروت ٢٠٠٧م، ص ٣٨، السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص ١٢٣.

(١٨) سامي صالح عبد الملك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سيناء من العصر الأيوبي، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٢٤٩، رياض شاهين " قلعة جزيرة فرعون

ساحة الصدام الصليبي الإسلامي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، (٣١) عام ٢٠٠٤م، ص ٥٥٠- ص ٥٦٦، أحمد قدري، قلعة صلاح الدين آثار سيناء جزيرة فرعون، ط. القاهرة ١٩٨٦م، يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي، المماليك البحرية، ط . عمان ١٩٨٢م، ص ٤٢، آمال محمد صفوت، آثار سيناء جزيرة فرعون – قلعة صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٨٦م .

J.M .Mouton , S.Abdal-Malik, la Farteresse de l,lle de Graye (qalat Ayla), a,l,elpoque de Saladin,etude epiegrphique et historique , A.I.XXIX 1995, pp.75- 95.

(١٩) رياض شاهين، قلعة جزيرة فرعون ساحة للصدام الصليبي الإسلامي، ضمن ندو ة البحر الأحمر عبر عصور التاريخ – اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ،ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١١٧ .

(٢٠) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩م – ٢٠٠٠م، ص ٢١٣، حاشية (٢١.

(٢١)أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٩٢، حاشية (٢)، فؤاد الدويكات، إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢- ٥٨٣هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م، ط. اربد ٢٠٠٩م، ص ١١٨ حاشية (٣) .

(٢٢) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٣٣.

(٢٣)وليم الصوري، الحروب الصليبية، ت حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٩٥م، جـ٤، ص ٦٩.

(٢٤) عن التوابل أنظر : أجاثا رخيديس الكندي، عن البحر الأريتري، ت. الحسين أحمد عبد الله ،ط. القاهرة ٢٠١١م، ص ١٧، الحاشية، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط . القاهرة ب- ت ،جـ٣، ص ٥٢٤.

John of Wurzburg, Description of The Holy land ,Trans. Astewart, p.p.T.S., VOI. V, London 1896,p.58,Burchard of Montsion, Description of The holy land, Trans. A.Stewart, p.p.T.s., voI XII, London 1896, p.67.

سونياها وفي طلب التوابل، ت . محمد عزيز رفعت، سلسلة الألف كتاب ،ط. القاهرة ١٩٥٧م، باتريشا ريسو، التجار والإيمان، ثقافة المسلمين وتجارتهم في المحيط الهندي، ت . أحمد عبد العزيز العباسي ،ط. أبوظبي ٢٠٠٩م ،ص ٥٩- ص ٩٩محمد عبد الغني الأشقر، تجارة التوابل في مصر في العصر المملوكي، ط. القاهرة ١٩٩٩م، محمد عبد الحميد محمد، حضارة طريق التوابل، ط. دمشق ٢٠٠٧م، ص ٣٣٩- ص ٤٣٣، فريد كزارا، التوابل، التاريخ الكوني، ت. لين هينبال قواص.، ط. أبوظبي ٢٠١٠م، ص ٧- ص ٢١٥، عبد الحافظ البنا، أسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٤٠، محمد مؤنس عوض، نقش باب الشاغور بدمشق (١١٥٦م ) مصدراً من مصادر تاريخ الحروب الصليبية في بلاد الشام، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (٣١)، سبتمبر ٢٠١٢م ،جـ١، ص ٣ – ص ٤، نفسه، الأسواق التجارية في عهد الدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ / ١١٤٦- ١١٧٤م، الدارة، العدد (٣)، السنة (١٦) عام ١٤١١هـ، ص ٧٧، صبحي لبيب التجارة الكارمية في تجارة مصر في العصور الوسطي، المجلة التاريخية المصرية، م (٤) العدد (٢) عام ١٩٥٤م ،ص ٥ – ص ٥٣، عطية القوصي، أضواء جديدة علي تجارة الكارمية، المجلة التاريخية المصرية، م (٢) عام ١٩٧٥م، ص ١٧- ص ٣٣،

يوسف غوانمة، التجارة الدولية في العصر المملوكي ،دراسات تاريخية، السنة (٧)، العددان (٢٣)، (٢٤)، ايلول –كانون الأول ١٩٨٦م، ص ٨٨ .

S. Goiten, Newlight on The beginnings of The karimi Merchants, J.E.S..H.O., 1958,pp.175-184.

(٢٥)ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

(٢٦)عن ذلك أنظر :

علي أحمد السيد، استرداد صلاح الدين ايله من الصليبيين عام ١١٧٠م / ٥٦٦هـ، ضمن كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٩٣ –ص ٢٠٤. وعن ايله أنظر : يوسف غوانمه، العلاقات التجارية بين ايله ( العقبة )وعدن في العصر الإسلامي، ضمن كتاب في التاريخ والحضارة الغربية الإسلامية ،ط. عمان ٢٠٠٠م، ص ٢٠٣، ص ٢٢٣.

(٢٧)ابن جبير، الرحلة، ص ٢٨.

(٢٨) عن مذبحة بلبيس أنظر:

William of Tyre,VOI.II,p.351.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصرو القاهرة، ط. القاهرة ب- ت، جـ٥، ص ٣٥٠، المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ،ط. القاهرة ١٩٦٩م، جـ٣، ص ٢٩٣، عبد المنعم ماجد ،ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط . القاهرة ١٩٩٤م، ص ٣٨٣، محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي – الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ م ١١٤٦- ١١٧٤م، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٩٧، احمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ،ط. القاهرة ١٩٣م، ص ١٩٩، محمود الحويري، مصر في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٨٩، قدري قلعجي، صلاح

الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١٨٦.

(٣٠)عن ينبع أنظر :

ياقوت، معجم البلدان ،ط. بيروت ١٩٩٧م،جـ٤ ،ص ٥١١، ابن الوزان ،وصف إفريقيا، ت . عبد الرحمن حميدة ،ط . القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٦١٥، مجموعة من الباحثين، موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، وأسرة الملك عبد العزيز ،ط. الرياض ٢٠٠٣م،جـ٥، ص ٥٥٤.

(٣١)ابن جبير، الرحلة ،ص ٢٨،المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفي زيادة، ط. القاهرة ١٩٣٤م ن جـ١ / ق١، ص ٧٩، محمود الحويري، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة واثرها في التصدي للصليبيين ،ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٩٧، نفسه، مصر في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٢٠٠، عمر يحي محمد، مغامرة الصليبي أرناط الفاشلة لغزو الحجاز ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، ص ٣١، وبعد وصول الصليبيين علي بعد مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة وعن المدينة المنورة أنظر هذه المصادر والمراجع المختارة، ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور ،ت . حسين محمد شكري ،ط. المدينة المنورة ١٤١٦هـ المراغي، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق عادل عبد الجواد،ط. المدينة المنورة ١٩٨١م .

ابن زباله، أخبار المدينة تحقيق صلاح عبد العزيز زين سلامة ،ط. المدينة المنورة ٢٠٠٣م، ابن شبه، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط. القاهرة ب-ت، ابن النجار، الدرة اليتيمة في اخبار المدينة ،طز المدينة المنورة ٢٠٠٣م، البرزنجي، نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والاخرين، تحقيق احمد سعيد سليم ،ط. القاهرة ١٤١٦هـ، السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،ط. بيروت ١٩٩٣م

،السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفي، تحقيق محمد الأمين ،ط. المدينة المنورة ١٩٩٨م، أحمد ياسين الخياري، أمراء المدينة المنورة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم، ط. المدينة المنورة ١٩٦٢م، نفسه، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، ط. المدينة المنورة ٢٠٠٣م، غالي الشنقيطي الدر الثمين في معلم دار الرسول الأمين، ط. جدة ١٩٩١م، احمد عبد الغني عارف ن تاريخ امراء المدينة المنورة ،ط. دمشق ١٩٩٦م، عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، طز المدينة المنورة ١٩٩٣م .عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة ،ط. المدينة المنورة ١٩٨٣م، محمد إلياس عبد الغني، المساجد الأثرية في المدينة المنورة، ط. المدينة المنورة ٢٠٠٠م، عبد الرحمن المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، ط. الرياض ٢٠٠١م، علي السيد علي، الحياة العلمية في المدينة المنورة في العصر المملوكي ،ط. القاهرة، محمد السيد الوكيل، المسجد النبوي عبر التاريخ ،ط. جدة ١٩٨٨م ن مجموعة من الباحثين، تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور، منشورات الجمعية التاريخية السعودية ،ط. الرياض ٢٠١٠م ؛ إبراهيم العياشي، المدينة بين الماضي والحاضر، ط. المدينة المنورة ١٩٧٢م، حمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة ،ط. الرياض ١٣٩٠هـ، عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ،ط. المدينة المنورة ١٩٩٣م .

(٣٢)عن حسام لؤلؤ أنظر :

ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ط. عمان ب-ت ،ص ١٧٨٢، أبو شامة، الروضتين، جـ٢، ص ٢٤٠، الاصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق٥ عمر عبد السلام تدمري ،ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٤١٧، الفتح البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٢١٣، ص ابن جبير، الرحلة، ص ٢٨، المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط. القاهرة ١٣٢٤هـ، جـ٢ ،ص ٨٥-ص ٨٦،

يوسف غوانمه، إمارة الكرك الأيوبية، ص ١٣٢، حاشية (١١٢)، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص ٣٥٩، بسام العسلي ،فن الحرب الإسلامي، ص ١٢٨،السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،ط. الإسكندرية ١٩٩٣م، ص ٢٦٢، علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء علي الدولة الفاطمية وتحرير القدس، ص ٣٧٠،سحر السيد سالم، دراسات في تاريخ مصرفي العصرين الأيوبي والمملوكي، ص ١٠٤، محمد الحافظ النقر، تاريخ بيت المقدس من الفتح العمري حتى نهاية العهد الأيوبي ،ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ١٥٠، أحمد حطيط، تجارة البحر الأحمر، ص ٩٨، ساهر رافع شخصيات أثرت التاريخ، صلاح الدين، ط. الجيزة ٢٠٠٨م، ص ٨٠.

(٣٣) يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ١٣٢- ص ١٣٣.

(٣٤) ابن جبير، الرحلة، جـ ٢٨و عن معاملة الأسرى بصفة عامة فيعصر الحروب الصليبية أنظر :

فاطمة الشناوي، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر ١١٣٧- ١٢٩١م / ٥٣١- ٦٩١هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، ككلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٧م .راغب حامد البكر، الأسرى المسلمون في الحروب الصليبية، آداب الرافدين، العدد (٢٥) تشرين الثاني ١٩٩٣م، ص ٢٥١- ص ٢٦٥، محمود سعيد عمران، القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام السملين ٤٩٣- ٥٣١هـ / ١١٠٠- ١١٣٧م، ط. بيروت ١٩٨٦م .

Y.Friedman, Encountes between Enemies, Captivity and Ransom in The latin kingdom of Jerusalew,Leiden 2002,pp.13-212.

(٣٥)ابن جبير، الرحلة، ص ٢٨، يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص ١٣٤.

(٣٦)عبد الله الربيعي، السياسة الصليبية تجاه البحر الحمر، ص ١١١.

(٣٧)يوسف غوانمه، المرجع السابق، ص١٣٤-ص ١٣٥.

(٣٨)يوشع براور، عالم الصليبيين ،ص ٥١.

(٣٩) نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص ١٤٠- ١٤١.

(٤٠) علي أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٢٢٣.

(٤١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٨.

(٤٢)نعمان جبران ،دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ،ط. اربد ٢٠٠٠، ص ٩٥.

وعن أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية حينذاك أنظر : وليم الصوري، الحروب الصليبية، تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر، ت . سهيل زكار، ط. دمشق٥ ١٩٩٠م ،جـ٢، ص ٩٧١- ص ١٠٧٦.

P.Aubee, Baudouin IV de Jerusalem ,le B.Hamilton, The Leper king and his heirs, Baldwin IV and The Crusader kingdom of Jerusalem , Cambridge 2000.

ياسر كامل، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع (١١٧٤- ١١٨٥م )، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة أسيوط عام ٢٠٠٨م،

(٤٣)عبد الله الربيعي، المرجع السابق، ص ١١٥،

(٤٤)تناولت ذلك في بحث متخصص أنظر :

محمد مؤنس عوض، ) الرها- عيذاب – تونس، أقصي حدود التوسعات الصليبية فيما بين عامي ١٠٩٧- ١٢٩١م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد مارس عام ٢٠١٢م .

(٤٥)عن حملة لويس التاسع علي تونس أنظر :

Jean de Joinville, The life of Saint Louis Trans. M.R.B.shaw, London 1976,p.346.

ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط. الرياض ١٩٧٦م، ص ٣٧٤، ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار إفريقية وتونس، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ١٥٩، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ط. القاهرة ب- ت، جـ٦، ص ٢٩٣، مصطفي الكناني، حملة لويس التاسع الصليبية علي تونس ٦٦٨- ٦٦٩هـ / ١٢٧٠، ط.الإسكندرية ١٩٨٥م ن ص ١٣٣ – ص ٢٧١ محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب العربي ،ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ١٩٧-ص ٢١٢،

لمياء عز الدين، موقف الحفصيين من الصليبيين من الغزو الصليبي علي بلاد المغرب العربي، آداب الرافدين، العدد (٣١) عام ١٩٩٨م، ص ٢٧٦- ص ٢٨٨، فايز إسكندر نجيب، المقاومة الإسلامية في مواجهة العدوان الصليبي علي تونس ٦٦٨- ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م، ط . القاهرة ١٩٨٧م، سامية عامر، الحروبالصليبية في شمال إفريقيا، حملة لويس التاسع علي تونس ١٢٧٠م / ٦٦٨- ٦٦٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، محمود سعيد عمران، شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس ( ١٢٦٦- ١٢٨٥م، ص ١٦٩- ص ١٩٦، حياة الحجي، السياسات الصليبية للملك الفرنسي لويس التاسع ،ط. الكويت ١٩٨٣م ن احمد رمضان، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي – الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ب- ت ص ٢٠٢ محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩- ٢٠٠٠م، ص ٣١٤- ص ٣٢١، نفسه، تاريخ الصليبيات الصراع العالميفي العصور الوسطي ،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٣٤٢- ص ٢٤٩،

M.Talbi," Saint Louis: Voir Tunis et Mourir, H. XLVIII 1982,pp.38-41.

J.Strayer, The Crusades of Louis IX ,in A History of The Crusades, ed.K, setton, VOl, II, Wisconson 1969, pp515- 518.

(٤٦) عن حملة بلدوين الأول علي مصر أنظر :

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem Trans, ( 1045- 1127)., Frances Rita Ryan, Tenuessee 1969,p.221.

William of Tyre, VOI.I ,p.515.

مصطفي الكناني، أول حملة صليبية لغزو مصر عام ١١١٨م / ٥١١هـ علي ضوء وثيقة لاتينية دراسة وتحقيق، ط. الإسكندرية ١٩٨٧م، صلاح الدين نوار، مقدمات العدوان الصليبي علي مصر الإسلامية غارة بلدوين الأول علي مصر وموقف الخلافة الفاطمية منها ٥١١هـ م ١١١٧-١١١٨م، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ١١- ص ٣٨، هنادي السيد مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠- ١١١٨م / ٤٩٤- ٥١٢هـ ) ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٦٧- ص ٧١، اسيمينوفا، تاريخ مصر الفاطمية، ت . حسن بيومي، المشروع القومي للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٥٢،محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة١٩٩٩م — ٢٠٠٠م، ص ١٠٦- ص١٠٧، نفسه، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٨٢، نفسه، تاريخ الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ٢٠١١م، ص١١٩- ص ١٢١، مسفر الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر ( ٤٩١- ٥٦٩هـ / ١٠٩٧- ١١٧٣م ) ،ط. جدة ١٩٨٦م، ص ١٣٠،

(٤٧) عن ذلك أنظر هذا البحث :

محمد مؤنس عوض، سلاح المعلومات ودوره في تاريخ الصليبيين حلال المرحلة مكن ١٠٩٥إلي ١١٨٧م . مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (٢٨)، مارس ٢٠١١م، ص ١١- ص ٤٦.

(٤٨)علي أحمد السيد، استرداد صلاح الدين ايله من الصليبيين ص ١٢١- ص١٢٢.

(٤٩)عن ذلك أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢٥، جمال الدين الشيال، " الجاسوسية في حروب بني ايوب، " ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، ط. بيروت ١٩٦٤م، ص ٧٣ –ص ٧٧، صلاح الدين بحيري، " المخابرات الإسلامية في مواجهة الصليبيين "، مجلة الآثار – جامعة القاهرة، العدد (٣)، عام ١٩٨٩م، ص ١٨–ص ٢٣، سلامة البلوي، " نظم الاستخبارات الأيوبية في عهد صلاح الدين "، مؤته للبحوث والدراسات، م (٢٢)، العدد، عام ٢٠٠٧م، ص ١–ص ٣٦.

(٥٠)عن علم النفس الحربي أنظر :

عبد الرحمن العيسوى، القياس النفس والفعل في القوات المسلحة، ط. الإسكندرية ٢٠٠٧م، ص ١٥– ص ٦٦، نفسه، سيكولوجية الحرب والسلام، ط. الإسكندرية ٢٠٠٥م، ص ١٣– ص ٢٨٧، نفسه، الحياة العسكرية من المنظور السيكولوجي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ١٣– ص ٣٠٦، محمد شحاته، علم النفس الحربي، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٣٦٩– ص ٣٨٩.

# التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي
# (١١٨٥- ١١٩٣م )

# التاريخ المرَضَي لصلاح الدين الأيوبي
# (١١٨٥- ١١٩٣م)

يتناول هذا البحث بالدراسة التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي، وهو أمر علي جانب كبير من الأهمية من أجل تسليط الأضواء الكاشفة علي حياة ذلك القائد البارز في عصر الحروب الصليبية علي نحو يعيننا علي فهم دوره خلال ذلك الحين .

بصفة عامة، اعتاد الباحثون تناول صلاح الدين كقائد بارز يخوض غمار المعارك المريرة ضد الصليبيين وكذلك أعدائه من المسلمين ويحقق الانتصارات تلو الأخرى وبالتالي فالصورة الذهنية العامة عنه أنه موفور الصحة والقوة والنشاط لا يكل ولا يمل من الجهاد، وهو امر نجده في كافة الدراسات التي تناولته، ولكن التعرض إليه من خلال الضعف الجسدي بالمرض فهو يندر الحديث عنه علي وجه العموم .

تجدر الإشارة إلي أن المؤرخ المتصدي للموضوع المذكور[١] يواجه صعوبة كبيرة تتمثل في ندرة الإشارات المصدرية إذا أنهمك المؤرخون المعاصرون – في أغلبهم بتناول الأحداث السياسية والعسكرية خلال ذلك العصر، ونادراً ما اشاروا إلي التاريخ المرضي لذلك السلطان باستثناء مرضه الأخير بطبيعة الحال .

كذلك يلاحظ أن اصابته بالمرض كانت متقطعة وفي فترات مختلفة مما صعب علي المرء متابعتها من خلال تطور زمني دقيق وقد أقر صلاح الدين نفسه للقاض الفاضل بأنه كثير الأمراض [٢].

كما لا نغفل أن الباحثين – عموما- عزفوا عن دراسة أثر الحالة الصحية لقادة التاريخ – خاصة خلال مرحلة الحروب الصليبية علي قراراتهم السياسية التي اتخذوها في مواجهة الأحداث الصاخبة من خلال الصراع الإسلامي – الصليبي،

ولذلك لم أعثر علي دراسة بالعربية – علي الأقل – تتناول هذا الموضوع وفق اهتماماتي البيليوغرافية .

من جهة أخرى، لا تكشف لنا المصادر التاريخية المعاصرة بداية التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي، وأن كنا نعلم بطبيعة الحال نهايته من خلال وفاته فجر الأربعاء ٤ مارس ١١٩٣م بعد أن أجهز عليه المرض .

بصفة عامة، يعد القاضي بهاء الدين بن شداد[٣] (ت ١١٣٤م) مؤلف النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية مصدرنا الأساسي عن ذلك التاريخ المرضي وعلي نحو خاص المرض الأخير الذي أدي إلي وفاة السلطان الأيوبي، ويمتاز عرضه بالدقة والتفصيل ثم بالتحديد الزمني اليومي بصورة لا نجدها في أي مصدر تاريخي عربي معاصر آخر، وقد ساعده علي ذلك بصورة أساسية، ملازمته لقائده طوال الست سنوات الأخيرة من حياته ١١٨٨- ١١٩٣م فهي مرحلة زمنية فارقة في تاريخ الصراع الإسلامي – الصليبي كانت عامرة بالأحداث السياسية العسكرية وأيضاً بمرض صلاح الدين الأيوبي، وقد أحاط بأدق تفاصيل حياته صحيحاً معافاً أمر مريضاً.

وهناك مصدر تاريخي آخر علي جانب كبير من الأهمية في صورة ما أورده ابن أبي أصيبعة [٤] ٠ت ١٢٦٨م ) في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء، حيث أورد نصوصاً مما ذكره عبد اللطيف البغدادي [٥] ( ت ١٢٣١م) ؛ وهو طبيب، مؤرخ ورحالة موسوعي الثقافة، وأهمية ما ذكره في هذا الشأن ترتبط بمسؤولية علاج صلاح الدين الأيوبي في مرضه الأخير الذي أودي بحياته

و يلاحظ أن ذلك القول جاء من طبيب معاصر ولذلك فشهادته لها مكانتها بين مصادر التاريخ المرضي لذلك السلطان، خاصة أنها فريدة لم ينتبه إليها العديد من الباحثين !!،و لعل ذلك يرجع إلي النصر، وكذلك أن السطور المذكورة وردت

بصورة ولم تورد في كتاب مستقل عند البغدادي وهي معلومات ما كان من الممكن الحصول عليها إلا من خلال مستشار شخصي للسلطان يلازمه كظله طوال الست سنوات الأخيرة من حياته، وهكذا يتأكد لنا دون مبالغة – أن مؤلف النوادر يتفوق بقربه الشديد من علي أي مؤرخ معاصر بخر في هذه النوادر علي نحو خاص .

ولعل من أسباب ذلك عدم ايرادها في كتاب مستقل للبغدادي بل في عيون الأنباء وعلي نحو موجز.

تجدر الإشارة إلي أن السلطان الأيوبي المذكور قد وقع فريسة للمرض عام ١١٨٥م، عندما كان في منطقة الجزيرة الفراتية يقاتل خصومه من الزنكيين، وقد أصابه المرض في كفر زمار ومن هناك أرتحل إلي حران، ويلاحظ أنه كان يرافقه الأمير المغربي عبد العزيز بن شداد بن تميم بن باديس( وهو ينتسب إلي أسرة ابن بادبس التي توارثت حكم القيروان، وقد طلب منه ذلك الأمير أن ينذر نفسه إذا ما من الله تعالي عليه بالشفاء بأن يقوم بكل ما لله، ولا يقاتل احداً من المسلمين ويجتهد في قتال الصليبيين [٦]، وهو ما تم بالفعل فيما بعد خاصة من خلال معركة حطين الفاصلة عام ١١٨٧م .

يلاحظ أنه خلال إصابته بالمرض ؛ الذي لا نعرف تحديده طبياً وأن كان من المفترض أن يكون الملاريا وصلت إلي مسامعه وفاة زوجته – وأرملة نور الدين محمود من قبل – عصمت الدين خاتون ( ت ١١٨٥م ) ؛ فحزن لذلك أشد الحزن حتى زاد عليه المرض [٧]، وهو أمر يدلنا علي أننا أمام قائد مفرط الحساسية يؤثر علي حالته الصحية سماعه لأخبار سيئة عن رحيل أحد المقربين منه كزوجته، فما بالنا بأحداث عسكرية طاحنة يفتك فيها الصليبيون بالكثيرين من أفراد الجيش الأيوبي

و هكذا، يمكننا القول بأن مرض عام ١١٨٥م كان له دوره الحيوي في تاريخ صلاح الدين الأيوبي حيث عمل من بعد شفائه بنصيحة ذلك الأمير المغربي وكان له دوره البارز في ساحات الجهاد ضد الصليبيين، ولا يعني ذلك أن فكرته في الجهاد لم تكن متوافرة من قبل ذلك [٨]، إذ أن صراعاته مع القوى الإسلامية كانت تصب في النهاية نحو جهاد الصليبيين، وبالتالي فإن شفاءه من المرض المذكور يعتبر عنصر مساعد لا أكثر حتى لا تختزل الأمر في مجرد نصيحة عابرة من أحد مرافقيه .

من جهة أخرى، يقرر بهاء الدين بن شداد مرض صلاح الدين الأيوبي أثناء الصراع علي عكا خلال أحداث ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩١م) ،وقد قرر عنه أنه كان علي غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دمامل كانت ظهرت عليه من وسطه إلي ركبته، بحيث لا يستطيع الجلوس، وإنما يكون متكئاً علي جانبه إذا كان في الخيمة، وأمتنع عن مد الطعام بين يديه لعجزه عن الجلوس[٩]، ويفهم من النص المذكور أن تلك الدمامل أصابت المقعدة ولذلك لم يكن من الممكن أن يجلس وحالته بهذه الصورة، ومن المفترض أن ذلك انطبق أيضا علي استخدام الخيول وامتطاء ظهورها ويعتبر الوصف المذكور من أدق ما وصل إلينا في تاريخ صلاح الدين المرضي فيما قبل مرضه الأخير وأمتاز بالدقة وتحديد مكان الإصابة المرضية وأثرها علي حياة السلطان الشخصية من خلال عدم قدرته علي الجلوس وتناول الطعام بصورة طبيعية.

وقد أورد ذلك المؤرخ تلك الإشارة في معرض حديثه عن صبر السلطان المذكور واحتسابه، وقد ذكر أن مرضه لم يمنعه من جهاد الصليبيين وقد ذكر له " إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل" [١٠] ويقصد بذلك عندما يمتطي صهوة حصانه علي نحو يعكس الأثر النفسي القوى لجهاده وتفيد الإشارة المذكورة في توضيح أن مرضه لم يكن له دوماً عنصر إعاقة له، بل كان دافعاً قوياً كي يتجاوزه ليجاهد

الصليبيين وكأنه سليم معافي، ومن الجلي البين أن عصامية صلاح الدين والحياة التي عاشها في طفولته وشبابه وطبيعته العسكرية جعلته أقدر علي تحدي المرض والصبر علي آلامه .

كما ذكر مرض صلاح الدين في منطقة الخرونة ويقصد بها مثل الخروبة الواقع جنوب غربي شفر شرقي حيفا بفلسطين – دون أن يحدد العام . وإن كان من المفترض أن ذلك حدث في أعقاب حطين ١١٨٧م حيث دخل المسلمون كافة مناطق فلسطين في أعقاب انهيار الدفاعات الصليبية وقد ذكر أنه مَرض هناك وأن الصليبيين حاولوا استغلال الأمر لصالحهم، إلا أنه بادر إلي مواجهتهم عسكرياً وتحامل علي نفسه، بل أنه كان " يسير ساعة ثم ينزل يستريح لا يتظلل بمنديل علي رأسه من شدة وقع الشمس عليه، ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفاً"(١١)

وبالتالي يستغل ذلك الوضع لصالحه ومن المفترض أن ذلك حدث في شهور الصيف بدليل ما ورد من شدة أثر أشعة الشمس عليه .

و هو أمر يدل علي أنه مرض خلال شهور الصيف حيث تشتد حرارة الشمس علي نحو كان يؤثر سلباً عليه خلال مرضه، ويدل أيضاً علي أننا أمام قائد لديه القدرة علي اختزال آلامه من أجل مصلحة المسلمين العليا وجهادهم ضد الصليبيين في أصعب الظروف المناخية .

و من المفترض أن صلاح الدين الأيوبي صار متعايشاً مع مرضه، خاصة خلال صراعه الحربي المرير مع الصليبيين ومثل له ذلك الأمر تحدياً واضحاً قابله باستجابة فعالة زادت من أدائه كقائد للمسلمين حينذاك خاصة أن القادة والجنود الذين عملوا تحت رايته عندما شاهدوه علي هذا النحو زادت حماستهم لمواصلة الجهاد ضد الأعداء .

و الواقع أننا عندما ندرس الأمراض التي أصابت صلاح الدين الأيوبي يمكننا ملاحظة الآتي :

أولا: قد يكون هناك استعداد وراثي لإصابته بالأمراض، وهو أمر لا دخل لصلاح الدين فيه – في حالة وجوده أصلاً – وربما يكون قد أكتسبه من والديه، وأمام امكانات العصور الوسطي المحدودة ليس في مقدورنا حسم هذا الافتراض غير المؤكد .

ثانيا: كان هناك تأثير واضح من جانب تباين الظروف المناخية للمناطق الجغرافية المختلفة التي حدثت فيها المعارك الحربية وتوزعها بين صيف وشتاء مناطق جبلية وسهلية وساحلية –كان تأثيرها سلبياً علي صحته خاصة أنه شارك شخصياً في كافة المعارك التي خاض الجيش الأيوبي غمارها ضد الصليبيين، وفي الصحراء ويكفي الإشارة هنا إلي ظهور الدمامل في جسده مما دل علي أن جلده كان حساساً للتقلبات الجوية خاصة أن الجلد – عموما- يعبر عن الحالة الصحية للإنسان بوجه عام باعتباره خط الدفاع الأول عنه .

ثالثا: نستبعد أن تكون اصابته بالمرض كانت ناتجة عن الإفراط في الطعام من خلال إدراكنا لزهده العام – علي الرغم من ثراء المطبخ الشامي كما دل علي ذلك كتاب ابن العديم الحلبي (ت ١٢٦١م ) بعنوان الوصلة إلي الحبيب في ذكر الطيبات والطيب – وبالتالي اختلف عن أمر عمه أسد الدين شيركوه الذي توفى نتيجة إفراطه في تناول اللحوم الغليظة عام ١١٦٩م [١٢]، وبالتالي تشابه مع الملك يوحنا John (١١٩٩- ١٢١٦م )ملك إنجلترا الذي مات من جراء شراهته في تناول الطعام .

رابعا: كانت هناك العديد من الأحداث العصيبة التي مرت بذلك القائد خلال صراعه الحربي مع الصليبيين وقد استهلكت جانباً من طاقاته النفسية والعصبية

علي نحو أثر بدوره – كما هو مفترض – علي حالته الصحية بصفة عامة ولا أدل علي ذلك من الإشارة إلي مذبحة تل العياضية عام ١١٩١م [١٤] عندما فتك ريتشارد قلب الأسد بنحو (٢٥٠٠) من أبطال المسلمين الذين حوصروا قرب عكا علي مدى عامين (١١٨٩- ١١٩١م ) وذلك في يوم واحد، وقد شاهد ذلك السلطان ذبحهم علي أيدي أعدائه اصليبيين، ولا ريب في أن مثل تلك الأحداث وغيرها أجهدته نفسياً، وجعلته – مع غيرها – أكثر استعداداً للإصابة بالمرض ناهيك عن أثر سقوط عكا [١٥] عام ١١٩١م في قبضة الصليبيين وهزيمته في أرسوف في العام نفسه التي وصف أثرها عليه ابن شداد من خلال ما ذكره أنه كان في قلب السلطان من الوقعة ما لا يعلمه إلا الله، والناس بين جريح الجسد وجريح النفس [١٦] ومن المفترض أن توتره النفسي من خلال الهزيمة المذكورة – وهو الذي ذاق حلاوة النصر في حطين ١١٨٧م، فقد أنعكس سلبياً علي صحته – فإذا تركنا هذه الناحية، وجدنا العديد من المؤامرات التي حدثت ضده وجعلته أكثر حذراً وتوجساً كما في حالة المؤامرة الدولية الكبرى عام ١١٧٤م [١٧]، ومحاولة اغتيال الحشاشين له عام ١١٧٥ [١٨]، عام ١١٧٦م [١٩]، ومن المفترض أن كافة تلك الأحداث وأن قدر له النجاة منها، إلا أنها أدت إلي زيادة توتره وتأثر صحته سلباً من جرائها .

خامسا: علينا إدراك أن ذلك السلطان لم يعش حياة عادية مثل أبسط عناصر العامة في دولته المترامية الأطراف، إذ عاش في خيمة في الصحراء تذورها الرياح، وكثيراً ما تنقل وسافر بين العديد من المواقع لمحاربة خصوم دولته وجهاد الصليبيين، وكل ذلك وسط أجواء مشحونة بالعداء والمؤامرات منذ أن عمل وزيراً في القصر الفاطمي في عهد الخليفة العاضد (١١٦٠ – ١١٧١م)، ولا شك في أن ذلك كله جعله يحيا حياة أبعد ما تكون عن الاستقرار أو الهدوء، وبالتالي

كانت كافة تلك الجوانب تزيد العبء علي جهازه العصبي وبالتالي يمكننا القول بمصطلحات عصرنا الحالي – أن جهازه المناعي تجاه الأمراض لم يكن قوياً بالدرجة الكافية، لذلك كانت جزءً لا يتجزأ من تاريخه حتى مع إغفال المصادر التاريخية رصدها بصورة منتظمة إلا ما ندر كما أسلفت الذكر من قبل.

سادسا: لم يكن صلاح الدين الأيوبي مريضاً مطيعاً لتعليمات الأطباء باللجوء إلي الراحة، وعدم الاجهاد، وبالتالي يكون قد شارك شخصياً في عودة المرض إليه!!، وهنا علينا ملاحظة أنه لم يكن يستطيع تنفيذ تلك التعليمات بالراحة وهو يشاهد جيوش الصليبيين تتوالي علي المنطقة خاصة في أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م، وعلينا هنا ملاحظة أنه كان قائداً ملك الجهاد عليه قلبه، لذلك رفض مثل ذلك الاتجاه طالما أنه خالف مصلحة المسلمين العليا.

و هكذا، يمكننا تحميل ذلك السلطان مسؤولية عدم الانصياع لتعليمات أطبائه بالخلود إلي الراحة و، وفي نفس الأمر لا نستطيع أن نلومه علي ذلك لعدم قدرته علي تجنب الجهاد في عصر الصراع المرير ضد الصليبيين !!.

تجدر الإشارة دون إمكانية الترجيح أن الوضع الصحي القلق للسلطان الأيوبي، وتعدد مرات إصابته بالمرض، ربما جعله ذلك يشعر بالآخرين حتى الصليبيين أنفسهم عندما كان يدركهم المرض، لذلك وجدناه يحسن معاملة ريتشارد قلب الأسد عندما مرض في يافا حيث أرسل إليه طبيبه الخاص موسي بن ميمونى (ت ١٢٠٤م ) ومعه الفاكهة والثلج [٢٠] في لمسة حضارية نادرة في عالم العصور الوسطي خاصة خلال الحروب الصليبية، علي نحو دل بجلاء علي أنه فارس الإسلام النبيل الذي بهر بأخلاقه الصليبيين أنفسهم .

من جهة أخرى ،من المحتمل أن أصابته بالمرض عدة مرات جعله يخشي أن يدركه الموت قبل حسم الصراع مع الصليبيين خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩- ١١٩٢م)، وربما كان ذلك من عوامل إقدامه علي عقد صلح الرملة [٢١] في ٢ سبتمبر عام ١١٩٢م مع عدم إغفال التأثير البارز للعوامل العسكرية والسياسية الأخرى –و ما يدعم مثل ذلك الاحتمال ؛ أنه توفي بعد (٥) أشهر فقط من توقيعه حيث أدركته المنية في ٤ مارس عام ١١٩٣م كما أسلفت الإشارة من قبل .

أما فيما يتصل بالمرض الأخير [٢٢] الذي أصاب صلاح الدين الأيوبي وأودي بحياته ،- وهو أهم وأخطر ما مر به في تاريخه المرضي- فلدينا عنه مادة علمية علي جانب كبير من الأهمية في صورة ما ورد لدى ابن شداد في النوادر السلطانية، وإن كانت في أغلبها من مصدر تاريخي واحد هو النوادر السلطانية وتتفوق علي المادة التاريخية عن الحالات المرضية السابقة علي عام ١١٩٣م، مع ملاحظة أن المرض الأخير هو حصاد الحالات المرضية السابقة ولا يمكن أن ينفصل عنها بأي حال من الأحوال .

يلاحظ أن أهم ما في روايته يتمثل في الآتي :

أولا: أصيب السلطان بما يوصف لدي البعض بأنه حمي صفراوية [٢٣]، أو حتى أنه أصيب بالتيفويد كما رآي البعض الآخر [٢٤]، ولذلك ليس في الإمكان قبول ما أورده أحمد أبيش عندما علق علي الأمر موضحاً أنه " كان يعاني –كما يبدو – من ارتفاع ضغط الدم الشرياني، ونقص في التروية الدموية "[٢٥] . كذلك يستبعد ما تصوره البعض من إصابته بشيخوخة مبكرة [٢٦].

ثانيا: أشار ابن شداد إلي غياب طبيبه، ومن المرجح أنه موسي بن ميمون الذي وثق فيه، ولا نعرف السبب فبهذا الغياب الذي وصفه بأنه كان قد ألف مزاجه سفراً وحضراً [٢٧]، أي كانت لديه خبرة عريضة بحالته الصحية في حالتي

الإقامة وكذلك السفر، مع ملاحظة كثرة تنقله مع تعدد جبهات القتال بين بلاد الشام وشمالي العراق ومصر .

و يحاول المؤرخ جيمس رستون الابن القول بأنه تعمد الغياب لعدة أيام نظراً لكون الحالة المرضية للسلطان كانت في نطاق الميؤوس منها [٢٨] إلا أننا لا نجد ما يدعم مثل هذا القول الذي هو من خلال نصوص المصادر التاريخية المعاصرة من مخيلة ذلك المؤرخ !!.

ثالثا: أشار مؤلف النوادر إلي ما نصه : " رأي الأطباء فصده ففصدوه في الرابع ( أي في اليوم الرابع ) فاشتد مرضه [٢٩]" وهنا نحتاج إلي إضافة فارقة من عبد اللطيف البغدادي الذي ذكر صراحة أن من فصده افتقد الخبرة وبالتالي أدي إلي الاسراع بتدهور حالة السلطان الصحية [٣٠]، وهو أمر يخالف مع ما تصوره البعض عندما ذكر ما نصه : "لم تنفع حكمة الأطباء المهرة الموجودين"[٣١]، ولا تمدنا المصادر التاريخية المعاصرة، بأية معلومات بشأن هذه الناحية، هل كان ذلك من خلال خطأ بشري متعمد ؟ أم كان علي نحو غير مقصود، وهو أمر لا يمكن الإجابة عنه بعد (٨٢٠) عام من رحيل السلطان !!. وبصفة عامة من الممكن القول بأن إهمالاً ما لحق بعلاجه خلال ذلك المرض.

رابعا: اشتد المرض بالسلطان في الأيام السادس والسابع والثامن، ثم تغيب ذهنه – وكان ذلك مؤشراً علي ما وصل إليه من تدهور – أما في اليوم التاسع ؛ فقد شعر برعشة، وفي اليوم العاشر تم حقنه بحقنتين شرجيتين شعر بعدهما بنوع من الراحة، كذلك عولج بماء الشعير ومن الواضح أن أشكال العلاج المذكورة كان الهدف منها تخفيض درجة حرارته المرتفعة .

ومن الجلي البين أن كافة تلك الوسائل لم يكن لها أن تجدي نفعاً في حالته المتدهورة، ففي اليوم الحادي عشر زادت سوءً، وأدركه الموت [٣٣] في اليوم الثاني عشر في فجر يوم الأربعاء ٤ مارس ١١٩٣م، وبالتالي لم يكن مرضه علي مدى (٨) أيام كما ذكر ابن الأثير الذي كان بعيداً عن نطاق ذلك الحدث الجلل ومن الأفضل – منطقياً – الأخذ بما أورده ابن شداد شاهد العيان الملازم للسلطان في مرضه ومن جانبي، من الممكن الاقرار بأن المرض الأخير الذي توفي علي أثره ذلك السلطان هو علي الأرجح الملاريا الذي سببه البعوض لأن الأعراض التي وصفت بدقة من خلال النوادر السلطانية تنطبق علي ذلك المرض .

و هكذا، فإن مع مفارقات التاريخ التي تدعونا للتأمل العميق أن بطل عصر الحروب الصليبية ومحرر بيت المقدس من الصليبيين أدي البعوض إلي الفتك به، وهو أمر حدث من قبل بعدة قرون مع الإسكندر الكبير Alexander The Great (ت ٣٢٣ ق.م) عندما توفي بنفس المرض !!.

بصفة عامة، لا نغفل هنا الاقرار بأن التوتر العصبي والنفسي الذي عاني منه صلاح الدين الأيوبي علي مدى أعوام طويلة من الصراع مع خصومه من المسلمين وكذلك الصليبيين كان عاملاً فاعلاً علي ضعف جهازه المناعي وبالتالي صار أكثر قابلية للإصابة بمرض الملاريا الذي أصابه قبل الموت ناهيك عن اضطراره لخوض المعارك في مناطق غير صحية تنتشر فيها الحشرات والميكروبات .

تجدر الإشارة إلي أن أول إشارة بارزة عن إصابة السلطان المذكور بالمرض كانت عام ١١٨٦م، وكان قد بلغ عندئذ من العمر(٤٨) عاماً نظراً لعلمنا أنه ولد عام ١١٣٨م . وآخر إشارة تمثلت في مرضه عام ١١٩٣م وكان قد بلغ من العمر (٥٥) عاماً، وبالتالي فإن مقدورنا القول أن الثماني أعوام الأخيرة من عمره شهدت إصابته بالمرض علي نحو متقطع، وهي أعوام الإنجازات البارزة في صورة حطين (٤

يوليو ١١٨٧م )، وفتح بيت المقدس (٢ أكتوبر ١١٨٧م ) والتصدي للحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩- ١١٩٢م ) بصورة تجعلنا نصل إلي حقيقة مفادها أن أبرز مراحل جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين كانت عامرة بالمرض والانتصار العسكري مما دل علي التلازم بينهما، وكثيراً ما أتجه الباحثون إلي دراسة الانجازات التاريخية بمعزل عن الوضع الصحي لذلك القائد وهي زاوية علينا ألا نغفل أهمية دراستها .بصفة عامة، تدل وفاة صلاح الدين الأيوبي مريضاً علي أن قادة حركة الجهاد الإسلامي أما أنهم ماتوا قتلاً من خلال الاغتيال كما حدث لدى شرف الدين مودود [٣٥] (ت ١١١٣م ) وعماد الدين زنكي [٣٦] ( ت ١١٤٦م ) والأشرف خليل بن قلاوون (ت١٢٩٣م)، أو من خلال المرض كما في حالة نور الدين محمود[٣٨] (ت ١١٧٤م) الذي توفي بمرض الخوانيق أو الذبحة الصدرية، وصلاح الدين الأيوبي نفسه الذي توفي عام ١١٩٣م من خلال مرض الحمي الصفراوية، وهكذا فإن أولئك القادة دفعوا الثمن من خلال صحتهم من أجل حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين .

**خلاصة القول**، يتضح لنا من البحث عدة نتائج يمكن إجمالها من خلال الآتي:

أولا : كان صلاح الدين الأيوبي كثير الأمراض كما وصف نفسه للقاضي الفاضل، وعلي الرغم من ذلك كان شديد الحرص علي جهاد الصليبيين، وقد تحدى ظروفه الصحية السيئة وعلي نحو فاق العديد من القادة المسلمين السابقين الأصحاء، وبالتالي في مقدورنا القول بأن مرضه كان جزءً مهما يمكن تسميته بالعقدة المبدعة " أي أنه تجاوز تلك الناحية ودخل التاريخ من خلال جهاده للصليبيين ومن المرجح أن تاريخه المرضي جعله أكثر زهداً في مباهج الحياة .

ثانيا: يمكننا القول أن صلاح الدين الأيوبي دفع الثمن من صحته، ومات مريضاً بعد رحلة جهاد شاقة وطويلة ممتدة من عام ١١٦٩إلي١١٩٣م علي مدى نحو (٣٥) عاماً، وعلي الرغم من ذلك لم يسلم من عداء البعض – حالياً – الذين هاجموه ورقياً وإلكترونيا علي الرغم من أنه كان مريضاً ومعاقاً في قدمه، ومات وقد ترك ديناراً واحداً و(٣٧) درهماً، ولذلك علي من يهاجمه إدراك كافة الظروف والملابسات الشخصية والخارجية المحيطة به قبل أن تحكم عليه .

ثالثا: كان غياب موسي بن ميمون عن ساحة علاج صلاح الدين الأيوبي في مرضه الخير، عاملاً مؤثراً في تدهور حالته الصحية، ولا تكشف لنا المصادر التاريخية سبب ذلك الغياب، وهي " ثغرة " لا نملك لها إجابة، وربما تكشف نصوص مصدرية محققة ودراسات جادة حديثة النقاب عن تلك الزاوية .

رابعاً: كشف البحث عن حدوث إهمال من جانب – ولا نعرف – اسمه من صفة صلاح الدين الأيوبي خلال مراحل علاجه الخيرة قبيل وفاته نتيجة عدم توافر خبرة لديه وهو أمر أكده عبد اللطيف البغدادي وهي شهادة علي جانب كبير من الأهمية صادرة عن طبيب ومؤرخ له شأنه البارز، وبالتالي في مقدورنا القول دونما مبالغة أن فاتح بيت المقدس مات ضحية الإهمال من جانب والاجهاد المضنى من جانب آخر دون إمكانية التأكد من وجود تعمد في ذلك الإهمال .

وليس في مقدورنا التثبت من أن هذا الأمر كان متعمداً أم نتيجة خطأ بشري غير مقصود، وأن كنت استبعد التعمد، لأنه في حالة حدوث ذلك لكشف النقاب عنه مؤرخ النوادر دونما مواربة خاصة أنه كان قاضياً قبل ان يكون مؤرخاً .

خامساً: أكد البحث ضمنياً علي أن هناك موضوعات جديدة يمكن دراستها من ذلك السلطان الأيوبي المتجدد الحضور من خلال قيادته للمسلمين نحو تحقيق الانتصار التاريخي الحاسم في حطين في ٤ يوليو، ثم فتح بيت المقدس في ٢ اكتوبر ١١٨٧م، والذي تأكد من الصفحات السابقة أنه دفع الثمن من صحته في سبيل مواصلة الجهاد ضد الصليبيين .

ذلك عرض عن التاريخ المرضي لصلاح الدين الأيوبي .

## الهوامش

* أود التعبير عن خالص شكري للأستاذ رأفت عبد الجواد الأستاذ بكلية الطب – جامعة الشارقة الذي أفادني بالملاحظات القيمة عن المرض الأخير لصلاح الدين الأيوبي فله مني خالص الشكر ووافر التقدير .

(١)مصطفي الحياري، صلاح الدين القائد وعصره ،ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٤٧٦.

حيث قال ما نصه : " كنت أنوي إجراء دراسة لذلك ( يقصد مرضه ) لكن آثرت ترك الموضوع للمهتمين بتاريخ الطب "، وبالتالي يكون هذا المؤرخ الفاضل الراحل أول من نبه إلي أهمية اعداد دراسة عن الموضوع المذكور، لذا حرصت علي الإشارة – إليه والإشارة بفضله رحمه الله تعالي رحمة واسعة .

(٢)ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ١٩٨- ص ١٩٩.

(٣)عنه أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال ،ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ٣- ص ١٠، من مقدمة التحقيق، أبو شامة، الذيل على الروضتين ،ط. القاهرة ١٣٩٩هـ، ص ١٦٣، السعيد الورقي، مصادر التراث العربي، ط. الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ١٥٦، عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور والوسطي ،ط . بيروت ١٩٦٦م، ص ٢٧١، علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، ط. دمشق ١٩٨٩م، ص ٣٢٨،سنانه جاسم الجبوري، شخصية صلاح الدين الأيوبي من خلال كتاب النوادر السلطانية للقاضي بن شداد، تاريخ العرب والعالم ،العدد (١٩٥) السنة (٢٢)، يناير – فبراير٢٠٢م، ص ٩٢ – ص ١٠٠، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن ،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٢٥٠ – ص ٢٥١، نظير حسان سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٤٢.

(٤)عنه أنظر :

ابن كثير، البداية والنهاية ،ط. بيروت ١٩٨٠م مجـ١٣، ص ٢٥٧، أحمد عيسي، معجم الأطباء مكن سنة ٦٥٠هـ إلي يومنا هذا -، ط . القاهرة ١٩٤٣، ص ١١٤، كرد علي، خطط الشام ،ط. بيروت ١٩٨٣م، جـ٤، ص ٣٨، شاكر مصطفي، التاريخ العربي والمؤرخون ،ط. بيروت ١٩٨٠م،جـ٢، ص ٢٦٨، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط. بيروت ١٩٥٧م، جـ١، ص ٤٧، الزركلي، الأعلام،ط. بيروت ١٩٨٤م ،جـ١، ص ١٩٧، محمد مؤنس عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٠٤- ص ١٢٦.

(٥) عنه أنظر :

ابن أبي أصيبعة ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط. القاهرة ١٩٨٨٢م،جـ٢ ص ٢٠١- ص ٢١٣، الاسنوي – طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، ط. بغداد ١٢٩٠هـ، ص ٢٧٣-ص٢٧٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ط. بيروت ب- ت، جـ٥، ص ١٣٢، بول غليونجي، عبد اللطيف البغدادي، طبيب القرن السادس، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٧- ص ٢٢، محمد توفيق بلبع، عبد اللطيف البغدادي، أضواء جديدة علي سيرته ومنهجه التاريخي، عالم الفكر، م (١٩)، العدد (٣) عام ١٩٨٥م، ص ١٩، علي محسن مال الله، الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، المورد م (١٣)، العدد (١) عام ١٩٨٤م، ص ١٦٣- ص ١٧٦، مجموعة من الباحثين، الكتاب التذكاري عن عبد الطيف البغدادي، ط. القاهرة ١٩٦٤م، محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، ط. بيروت ١٩٩٥م ،جـ٥ ،ص ١٩٢- ص ١٩٣، أحمد أبو سعد، أدب الرحلات ،ط. بيروت ١٩٦١م، ص ١٤٠ –ص ١٥٤، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن ،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص ٢٣٥- ص ٢٥٦.

(٦)البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي ،ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢٩٩، خليل عثامنه، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧- ١٥١٦م)، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٤٦٣.

(٧)عن مرضه في العام المذكور أنظر :

هولت، عصر الحروب الصليبية تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادي عشر حتى عام ١٥١٧م، ت .عادل هلال ،ط . دمنهور ٢٠٠١م، ص ١٢٢- ص ١٢٣.

(٨) عن دوافع تحركات صلاح الدين الأيوبي وآراء المؤرخين حيالها أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق أحمد أبيش ،ط. دمشق ٢٠١١م .

H.G.bb," The Arabic Sources For The life of Saladin",S.,25,1950,pp58-72.

محمد مؤنس عوض، فكرة الجهاد الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطي، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور / محمود سعيد عمران، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٢٧٦، وانظر رأي المستشرق الأمريكي جون لامونت John la Monte الذي لا يعترف بفكرة الجهاد في ذلك العصرين وكذلك من جانب صلاح الدين أنظر جون لامونت، الحروب الصليبية والجهاد، ضمن كتاب دراسات إسلامية، ت . مجموعة من الباحثين اشراف نيقولا زيادة، ب–ت ١٩٦٠م، ص ١٢٠– ص ١٢٥.

(٩)ابن شداد، النوادر السلطانية ،ص ٨٠.

(١٠) نفسه، نفس الصفحة .

عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، ٥٣٢–٥٨٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١١٥ .

(١١)ابن شداد، المصدر السابق، ص ٨١.

(١٢)عن وفاة أسد الدين شيركوه أنظر :

ابن شداد، سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق احمد أبيش ،ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ١٠٤، حمدي عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ،ط. الإسكندرية ١٩٩٨م، ص ٢١– ص ٢٢ .

(١٣)محمد مؤنس عوض، العصور الوسطي الأوروبية ،ط. الشارقة ٢٠١٢م، ص ١٥٠.

(١٤) عن مذبحة العياضية أنظر :

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. A. Stewart, p.p.T.S., VOI. London18,p.113.

العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبيح ،ط. القاهرة ١٩٦٥م ن ص ٥٧٨، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، تحقيق حسن الشماع،ط. بغداد ١٩٦٩م م ع / جـ١، ص ٢٧وفاء محمد علي، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ،ط. القاهرة ١٤١٠هـ، ص ٧٢، قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ،ط. بيروت ١٩٧٩م، ص ٣٩٥، جنفياف شوفيل، صلاح الدين بطل الإسلام، ت . جورج أبي صالح، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٠٣، أحمد عبد الجواد الدومي، صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله، ط. صيدا ب- ت، ص ١٢٤، هدى الويسي، صورة الأوروبيين في المصادر العربية الإسلامية عصر الحروب الصليبية ( القرن ٦، ٧ هـ / ١٢، ١٣م ) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠١١م، ص ٧٩ .

(١٥) عن سقوط عكا أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢٩٧- ص ٢٩٩، الأصفهاني، البستان الجامع للجميع تواريخ أهل الزمان ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط، بيروت ٢٠٠٢م، ص ٤٣٧- ص ٤٣٨، علي الصلابي، التاريخ السياسي والعسكري والإداري لصلاح الدين الأيوبي في معركة حطين وفتح بيت المقدس ،ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٥٦- ص ١٥٧.

(١٦) عن معركة ارسوف أنظر :

Anonymous, Chronicle of The Third Crusade, A Translation of The Hinerariumarum of Gesta Regis

Ricardi ,Trans.Helen Nicholson, London 1997,pp246-261.

ابن شداد، النوادر السلطانية، تحقيق الشيال، ص ١٧٥، محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي – الصليبي – معركة ارسوف ١١٩١/ ٥٨٧هـ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢-ص ٦٥.

J.France , Western Warefare in The Age of The Crusades, 1000-1300, New York 1999,p.34,p.37.

(١٧) عن المؤامرة الدولية الكبري أنظر :

الأصفهاني البستان الجامع، ص ٤٠٢-ص ٤٠٣، ابن أيبك الدواداري، الدر المطلوب في اخبار بني ايوب، تحقيق٥ سعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط. القاهرة ب-ت، جـ٦ ،ص ٧٠- ص ٧١، عبد المنعم ماجد، الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي،ط. بيروت ١٩٦٢م ن ص ٩٣ – ص ٩٥، مصطفي غالب، أعلام الإسماعيلية، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص ٤٢٠- ص ٤٢٢.

(١٨)عن محاولة الاغتيال عام ١١٧٥م أنظر :

ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان ،ط. دمشق ١٩٥٤م،جـ٢، ص ٣٦٧، محمد المقدم، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٥٠ ،( اشبه بجهد هذا الباحث اليمني النابه المتألق )، محمد مؤنس عوض، الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عام ٢٠٠٧م، جمال الدين الرمادي، صلاح الدين الأيوبي ،ط. القاهرة، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٥١.

(١٩) عن محاولة الاغتيال عام ١١٧٦م أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية، تحقيق الشيال، ص ٩٦، محمد المقدم، المرجع السابق، ص ٢٥١، نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٧٥،

S.lane- Poole, Saladin and Jerusalem, Fall of kingdom of Jerusalem , London 1898,p.145.

ومن المفيد الرجوع إلي هذا البحث :

عبد الكريم عثامنة، صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام، الدارة، العدد (٢) السنة (١٢) عام ١٩٨٦م، ص ١٥٩- ص ١٧٣.

(٢٠) محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ص ٢٢٨.

(٢١)عن صلح الرملة أنظر :

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of lion, Trans .M.J. Hubert, New York 1943,pp.429- 430

Roger of Wendover, Flowers of History, Trans. J.A.Giles, London 1849,p.123.

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤٠٢- ص ٤٠٣، ابن واصل ،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، جـ٢، ص ٤٠٤، يوسف غوانمة، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ،ط. عمان ١٩٩٥م، ص ٤١-ص ٤٣، كميل عزيز، عصر الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية ٢٠١٠م، ص ٥٨ – ص ٥٩، مرفت عثمان، التحصينات الحربية وادوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص٧٢ – ص ٧٣، عبله المهتدي الزبدة، صلاح الدين وتحرير القدس، ط. عمان ١٩٩٤م، ص ١٤٨- ص ١٤٩، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية عرض موجز ،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص٣٢ .

(٢٢) عن المرض الأخير لصلاح الدين انظر :
ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤١٧- ص ٤١٩، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ط. بيروت ١٩٩٢م ،جـ٥، ص ٣٩٣، عبد المنعم الهاشمي، صلاح الدين الأيوبي ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٨م، ص ٢٨٢، علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في تحرير بيت المقدس، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٦١١، نفسه، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء علي الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٥٨٨ — ص ٥٨٩، عبد الله ناصر علوان، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين ٤٣٢- ٥٨٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٧٦-ص ٧٧، محمد مؤنس عوض، تاريخ الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطي، ط . القاهرة ٢٠١٠م، ص ٢٧٦، محمود شلبي، حياة صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ١٤٥، منصور عبد الحكيم، صلاح الدين المنقذ المنتظر ،ط. بيروت ٢٠٠٨م، ص ٢٨١، زيد الفياض، صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين، ط. بيروت ٢٠٠٣م ،ص ٨٧،مجموعة من الباحثين، أبطال العرب صلاح الدين الأيوبي ،ط. بيروت ١٩٨٩م، ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي من ذهنية الإلغاء إلي ذهنية التحريم، ت. سعيد أبو الحسن ،ط . دمشق ٢٠١٢م، ص ٢٥٢- ص ٢٥٣، جيمس رستون الابن، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت . رضوان السيد، ط. الرياض ٢٠٠٢م ،ص ٤٥٨، محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ٥٦٩- ٦٦١هـ / ١١٧٤-١٢٦٣م، ط. بيروت ٢١٩٩٩م، ص ٢٠٦، نفسه، تاريخ الحروب الصليبية حروب الفرنجة في المشرق، ٤٨٩- ٦٩٠هـ / ١٠٩٦-١٢٩١م، ط. بيروت ٢٠١١م، ص ٥١٩، علي الصلابي، التاريخ السياسي والعسكري والإداري لصلاح الدين الأيوبي في معركة حطين وفتح بيت

المقدس، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٩٦-ص١٩٧، أمين معلوف ،الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية ،ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٦٧، قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ،ط. ب- ت ١٩٩٤م ،ص ٤٣٤ سوزي حمود، الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي ٣٦١- ٩٢٣هـ / ٩٧٣- ١٥١٧، ط . بيروت ٢٠١٠م، ص ٦٠، ياسر نصر، صلاح الدين الأيوبي ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٢٤٤- ص ٢٢٥، ساهر رافع، شخصيات أثرت في التاريخ، صلاح الدين ،ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٥٦- ص ١٥٧.

P.H. Newby, Saladin in his time, London 1983,pp,195-196.

(٢٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤١٧- ص ٤٢١، محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ٥٦٩-٦٦١هـ / ١١٧٤-١٢٦٣م، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص ٢٠٦، سعيد عاشور، صلاح الدين الأيوبي ،ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٥٥، سيد ة كاشف، صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الإسلامي وبطل الجهاد في سبيل الله، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٩٣.

(٢٤)ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي ،ص ٢٥٣.

(٢٥)ابن شداد، النوادر السلطانية ،ص ٤١٧،حاشية(٢) .

(٢٦)أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ٢٦٨.

(٢٧)نفسه، نفس الصفحة .

(٢٨)جيمس رستون الابن، مقاتلون في سبيل الله، ص ٤٥٧.

(٢٩) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤١٧.

(٣٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ب–ت، ٦٨٨، يقول ما نصه : "رجع ففصده من لا خبرة عنده فخارت القوة"

(٣١) مصطفي الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ص ٤٧٦.

(٣٢) ابن شداد، النوادر السلطانية ،ص ٤١٨.

(٣٣)نفسه، ص ٤٣١.

(٣٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ط. عمان ب– ت، ص ١٨٢٩.

(٣٥) عن شرف الدين مودود أنظر .

ابن الأثير، الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات ،ط. القاهرة ١٩٦٣م ن ص ١٧ ،عبد الغني رمضان، السلاجقة والصليبيون من موقعة ملازجرد حتى سقوط الرها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب — جامعة القاهرة عام ١٩٥٧م، ص ٩٢– ص ٩٦، نفسه، شرف الدين مودود أتابك الموصل والجزيرة، مجلة كلية الآداب — جامعة الرياض ،م(٤)، السنة (٤) عام ١٩٧٦– ١٩٧٧م، ص ١٢٩– ص ١٥٠، عفاف صبرة، الأمير مودود بن التوننكين " الدارة، العدد (٢)، السنة (١٢)، عام ١٩٦٨م، ص ١٠٩–ص ١٣٢، عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي عصر ولاة السلاجقة في الموصل ٤٨٩– ٥٢١هـ / ١٠٩٥– ١١٢٧م، ط. الرياض ١٩٨١م، ص ٩٦– ص ١٠٨ ،رشيد الجميلي، الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢– ٥٠٧هـ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، العدد (١٤)، م (١) عام ١٩٧٠/ ١٩٧١م — ص ٤٦١– ص ٤٧٥، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب ،ط. القاهرة ١٩٩٩– ٢٠٠٠م، ص ١٥٣– ص ١٥٦، علي الصلابي، دولة السلاجقة

وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ،ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٦٢٤- ص ٦٣٢.

H. Fink, "of Mosul precursor of Saladin" , M.W., XTIII, 1953, pp.18-37.

(٣٦)عن عماد الدين زنكي انظر :

ابن الأثير، الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية، ص ١٧، علي الصلابي، السلطان الشهيد عماد الدين زنكي شخصيته وعصره ،ط. صيدا ٢٠١٠م، شاكر أبو بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ط. بيروت ب-ت، محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية ،ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ٥٥٨- ص ٥٨١، عبد الهادي عباس، سياسة عماد الدين زنكي وأثرها في مواجهة المد الصليبي في بلاد الشام، ضمن بحوث مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي – الفرنجي ٤٩١-٦٩٠هـ، جامعة اليرموك عام ٢٠٠٠م، ص ١٥١-ص ١٨١،عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ط. بيروت ١٩٧١م، عليه الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ٢٩٥- ص ٣١٢، راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٣٤٠- ص ٤٩٨، عبد الله سليم عمارة، حملات الفرنجة وإسرائيل تشابه في المسار والمسير ،ط. دمشق ٢٠٠٧م، ص ٤٤ – ص ٤٥، أحمد كمال حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة ،ط. الكويت ١٩٨٦م، ص ١٥٥.

H. Gibb, " Zengi and The Fall of Edessa", in A History of The Crusades , ed.K .Setton, VOI .II Wisconson 1989,pp 449-462.

C. Alptekin,The Reign of Zangi ( 521-541L 1127-1146), Ataturk University , Erzurum 1978.

(٣٧) عن الأشرف خليل بن قلاوون أنظر :

ابن عبد الظاهر، الألطاف الخفية في السيرة الأشرفية الخليلية، ط. مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زترشنين، ط. ليدن ١٩١٩م، ص ٨، عبد الرؤوف عفيفي، السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب – جامعة القاهرة ب–ت، محمد فوزي رحيل، نهاية الصليبيين ( فتح عكا ٦٤٨– ٦٩٠هـ / ١٢٥٠– ١٢٩١م )، ط. القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٣٣٣– ص ٣٤٠، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٤٧– ص ٣٥٦، نفسه، الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطي ص٣٧٦–ص ٣٨٥ مصطفي سبيتي، لبنان في العهد المملوكي، أهم الآثار الدينية،ط. بيروت ٢٠٠٨م، ص ٣٤– ص ٣٥،

1291 The Muslim / D. Little , The Fall of Akka in 690 Version in Studies in Islamic History and Civilization in Honour of Professor David Ayalon ,Jerusalem 1986, pp159- 181.

(٣٨) عن نور الدين محمود أنظر :

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق تحقيق اميدروز ،ط. بيروت ١٩٠٨م، ص ٣٠٠– ص٣٥٩، ابن القاضي شهبة، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زادي، ط. بيروت ١٩٧١م، ص ١٥– ص ٢٣، حسن حبشي ،نور الدين محمود والصليبيون ،ط. القاهرة ١٩٤٨م، حسين مؤنس، رائد نصر المسلمين علي الصليبيين، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق ،ط. الرياض ١٩٨٧م، نفسه نور الدين محمود، سيرة مجاهد صادق ،ط. القاهرة ١٩٥٩م، جاد محمد رمضان، تاريخ، الملك العادل نور الدين محمود، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر عام ١٩٤٥م، عبد الله سعيد الغامدي، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ،ط. مكة المكرمة ١٤١٤هـ، علي

سعد عطية، التنافس بين نور الدين محمود والصليبيين علي مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية ببيروت ١٩٧٠م .عماد الدين خليل، نور الدين محمود وتجربته الإسلامية، ط. دمشق ١٩٨٧م، محمود فايز سرطاوي، نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، ط. عمان ١٤١١هـ، علي الصلابي، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط. بيروت ٢٠٠٧م، علياء تبريزي، المخطط الأعظم لتحرير القدس، نور الدين محمود زنكي ،ط. صيدا ٢٠٠٣م، عبد الكريم الحشاش، الملك العادل الشهيد نور الدين محمود، ط، دمشق ١٩٩١م، نيكيتا اليسيف، السلطان نور الدين محمود بن زنكي أمد سنقر ٥١١- ٥٦٩هـ / ١١١٨- ١١٧٤م، ت . سليم قندلفت، ط. دمشق ١٩٩٨م، ليلي عبد الجواد، الملك العادل نور الدين محمود ،ط. القاهرة ٢٠٠٨م، عبد القادر أبو صيني، نور الدين موحد الأمة ضد الصليبيين ( دور نور الدين محمود زنكي في نهضة الأمة ومقاومة الغزو الصليبي ) ط. عمان ٢٠٠٠م، محمد فايز السرطاوي ،نور الدين محمود زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية عام ١٩٨٦م، محمد مؤنس عوض، نور الدين محمود (١١٤٦-١١٧٤م ) عرض ببليوغرافي عن المرحلة ما بين عامي (١١٤٥- ٢٠١٢م )، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (٣٣)، سبتمبر ٢٠١٣م .

N.Elisseeff, Nur ad – Din , un grand prince muslman au Temps des Croisades, 5110569L1118-1174, 3vols., Dams1967.